

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



مذكرة ماستر

ميدان: العلوم الإنسانية والاجتماعية
فرع التاريخ
تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر
رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
*فوزية بورويس *عفاف شيكر
يوم: 20/06/2023

دمشق خلال القرن التاسع عشر_دراسة سياسية، ثقافية.

لجنة المناقشة:

رئيسا	أ. مح ب	محمد خيضر بسكرة	الصادق عبد المالك
مشرفا ومقررا	أ. مح ب	محمد خيضر بسكرة	علي عيادة
مناقشا	أ. مح أ	محمد خيضر بسكرة	عباس كحول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



التصريح الشرفي الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز مذكرة الماستر

أنا الممضى أسفله،

- الطالب (ة): ليووليس غوتريية .. رقم بطاقة الطالب 181835031182 تاريخ الصدور 2023/2022

- الطالب (ة): نعم جيبكس كرفاني رقم بطاقة الطالب 18183603153 تاريخ الصدور 2023/2022

المسجل (ين) بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: العلوم الإنسانية شعبة: التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

والمكلف (ين) بإنجاز مذكرة ماستر الموسومة ب:

"د. مصطفى خنلال القرن التاسع عشر"

(المجيبات: الميثاقية)

أصح بشرفي (نا) أي (نا) ألتزم (نا) بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية

المطلوبة في إنجاز المذكرة المذكورة أعلاه.

التاريخ: 2023/...

توقيع المعنى (بين)

F. Ben

...

شكر وعرّفان

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل كل شيء الحمد لله والشكر له الذي كان معينا لنا،
وبفضله أتمنا هذا العمل.

نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الفاضل الدكتور علي عيادة
الذي كان بمثابة المرشد لنا.

والشكر الجزيل إلى كل من لم يبخل علينا ولو بمعلومة.

وكذلك للذين تواصلنا معهم عبر مواقع التواصل

الاجتماعي، ونذكر منهم: الدكتور الدمشقي أحمد العجمي،

والدكتور أحمد الذي ساعدنا في تنزيل المراجع التي تعذر

علينا تنزيلها.

الإهداء

إن كان أول طريق ألم وآخره تحقيق حلم، وإذا كانت أول إنطلاقة دمعة فإن نهايتها بسمة وكل بداية لها نهاية وها هي السنوات قد مرت والحلم يتحقق فاللهم لك الحمد لأنك وفقنتني على هذا العمل، فأهدي هذا العمل من جعلت اللجنة تحت أقدامها

... أمي ...

قرة عيني وأعز ما أملك غالتي التي سهرت وكانت معي في أسوء حالاتي، يكفي أنكي تعرفي لكي ابنة تنتظر فرصة وأحدة لتقدم لك الروح والقلب والعين كهدية، وهذا اقل ما أفعله مقارنة بما قدمته لي، وان ابنتك التي كانت بالأمس طفلة اليوم أصبحت خريجة كما أهدي هذا العمل إلى من عمل على تربيتي وأوصلني إلى ما أنا عليه الآن...

أبي الغالي

أطال الله في عمرهما، إلى من رسموا لي طريق التوفيق وكانوا أحسن الجوار لي، إخوتي وأخواتي، حماهم الله ورعاهم،، إلى أستاذنا الفاضل "علي عيادة" أطال الله في عمره الذي كان عوننا لنا طيلة فترة الإعداد للمذكرة، إلى صديقاتي اللاتي عشت معهن الأيام بجلوها ومرها، فشكرا لهم جميعا.

فوزية بورويس

مقدمة

يعد تاريخ البلدان العربية موضع إهتمام المؤرخين والباحثين المعاصرين، يسعون إلى دراسته كونه يضم مجموعة متنوعة من الحضارات والثقافات التي أسهمت في تشكيل تاريخ البشرية، عبر مختلف الحقبات التاريخية، ودمشق من المواضيع التي تستحق الدراسة باعتبارها من أهم المدن التاريخية والحضارية عبر مختلف العصور، والتي شهدت خلال القرن التاسع عشر العديد من المتغيرات وبالخصوص أثناء التواجد العثماني، والتوغل الأوروبي.

كانت مدينة دمشق مركزا حضاريا مهما يحظى بالعديد من المميزات، فهي مركز حضاري حيوي للعديد من الإمبراطوريات عبر حقبات تاريخية مختلفة، وكانت دراستنا لها خلال القرن التاسع عشر، حيث خصصنا جانبين مهمين للدراسة، جانب سياسي وآخر ثقافي، لذا جاء موضوعنا موسوما بـ: "دمشق خلال القرن التاسع عشر_دراسة سياسية، ثقافية".

أهمية الموضوع:

إن لموضوع الدراسة أهمية كبيرة، لأنه يعالج فترة مهمة في تاريخ دمشق وهي فترة القرن التاسع عشر ميلادي، حيث كانت تحت الحكم العثماني إضافة إلى بداية نشاط الحركة الاستعمارية الأوروبية، التي استهدفت العالم الإسلامي في ظل اختلال التوازن بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي المسيحي لصالح هذا الأخير، وتكمن أهمية الدراسة في التعرف على الناحيتين السياسية والثقافية.

أهداف الدراسة:

نهدف من دراستنا للموضوع إلى:

- إبراز الجانب السياسي والثقافي لدمشق في القرن التاسع عشر.
- التطرق إلى أهم الأحداث والمحطات التاريخية التي شهدتها في هذا القرن.

أسباب إختيار الموضوع:

تعددت أسباب إختيارنا لهذا الموضوع من بينها:

• الذاتية:

- الميول الشخصي لدراسة تاريخ دمشق والإمام بأهم جوانب الدراسة.

• الموضوعية:

- إثراء الرصيد المعرفي

- والرغبة في الإطلاع على تاريخ دمشق السياسي والثقافي.

الدراسات السابقة:

وتتوفر بكثرة كمصدر "تاريخ مدينة دمشق ل ابن العساكر" و"كتاب الدارس في المدارس لـ "محمد النعمي" و"دمشق ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر" لـ "ليندة تشيلشر"، حيث أطلعنا هذه الدراسة على خلفية ما كانت تعيشه مدينة دمشق من أوضاع خلال التواجد العثماني والتوغل الأوروبي فيها خلال القرن التاسع عشر.

الإشكالية:

تتمحور هذه الدراسة حول الإجابة عن الإشكالية التالية:

بما تميز التاريخ السياسي والثقافي لمدينة دمشق خلال القرن التاسع عشر؟

وتتدرج تحتها جملة من التساؤلات الفرعية مفادها:

- ما أصل تسمية دمشق؟ وأين تقع؟

- كيف كانت الأوضاع قبيل القرن التاسع عشر؟

- هل كان لنظام الأسرات تأثير على المجتمع الدمشقي؟

- ماهي وقائع ثورة 1831؟

- ماهي أهم المؤسسات التعليمية في دمشق قبل عصر التنظيمات العثمانية؟

- كيف كان واقع التعليم في فترة التنظيمات العثمانية؟

- ما هي العادات والتقاليد التي كانت سائدة؟

المنهج المتبع: إعتدنا في دراسة دمشق خلال القرن التاسع عشر على المنهج التاريخي

مع استخدام الوصف لمحطات تاريخية شهدتها دمشق خلال القرن التاسع عشر وذلك لغرض

وصف التراث الثقافي لها.

الخطّة:

- للإجابة على الأسئلة المطروحة قسمنا الموضوع إلى ثلاثة أجزاء
- أولاً: تمهيد حول الأوضاع العامة في دمشق قبيل القرن التاسع عشر.
- ثانياً: الوضع السياسي لدمشق خلال القرن التاسع عشر.
- ثالثاً: الواقع الثقافي لدمشق خلال القرن التاسع عشر.

تطرقنا في التمهيد إلى الأوضاع العامة لدمشق قبيل القرن التاسع عشر، حيث ناقشنا في المبحث الأول أصل التسمية، وتناولنا في المبحث الثاني الموقع الفلكي والجغرافي وما يحمله من أهمية، أما الثالث فكان لأصل السكان والتطور الديموغرافي لدمشق، والرابع فكان عبارة عن لمحة للأوضاع العامة في دمشق قبيل القرن التاسع عشر، وفيه أربعة مطالب شملت النواحي السياسية، الإدارية، العسكرية، الإقتصادية والاجتماعية.

أما الفصل الأول كان بعنوان "الوضع السياسي لدمشق خلال القرن التاسع عشر"، وجاء تحت ثلاثة مباحث، جاء في المبحث الأول "دمشق في عهد الإصلاحات وذلك في فترة 1792-1839"، حيث شمل جملة من العناصر من بينها فترة حكم السلطان سليم الثالث 1789-1807 والذي استهل بالتعريف به وبأسرة آل العظم وباشا الجزائر، وكذلك فترة حكم السلطان محمود الثاني 1808-1839، الذي استهل بالتعريف به، وذكر أهم إنجازاته السياسية، كما تم فيه التطرق إلى دور قافلة الحج الشامي في دمشق والواقعة الخيرية، أين تم القضاء على جيش الانكشارية، وأيضاً ثورة 1831 التي ثار فيها الدمشقيون على الوالي نظراً لممارساته السيئة، وأخيراً التطرق إلى فترة الحكم المصري في دمشق ما بين 1831-1839.

أما المبحث الثاني شمل فترة التنظيمات والتي كانت ما بين 1839-1861 حيث تناولنا فيه فترة حكم السلطان عبد المجيد 1839-1861، إذ تطرقنا إلى التعريف بمرسوم كولخانة 1839، ومؤتمر لندن 1840، والخط الهمايوني 1856، والصراع الطائفي 1860-1861، والتنظيمات التي شهدتها فترة حكم السلطان عبد العزيز 1860-1876 التي شملت سن قانون الولايات في 1864.

في المبحث الثالث تناولنا بالدراسة الفترة مابين 1861 و1876 وفيها المشروطية 1876 والمشاريع العثمانية في دمشق، منها خط سكة حديد بيروت ودمشق، ومشروع الخط الحجازي.

أما في الفصل الثاني، فقد كان حول الواقع الثقافي لدمشق خلال القرن التاسع عشر، حيث قسم إلى ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول تضمن المؤسسات التعليمية في دمشق قبل فترة التنظيمات العثمانية حيث كان التعليم حراً يعتمد على تدريس وتحفيظ القرآن وعلم الحديث، ومؤسساته الكتاتيب والزوايا والمدارس.

أما المبحث الثاني فقد خصص للتعليم في دمشق خلال فترة الإصلاحات العثمانية، وتم تقسيمه إلى أربعة مطالب، بدءاً بالتعليم في عهد السلطان محمود الثاني، ثم يليه فترة السلطان عبد المجيد، وعبد العزيز وختاماً بالسلطان عبد الحميد الثاني، حيث تم ذكر أهم مجهودات السلاطين في تحسين التعليم وتحديثه.

المبحث الأخير جاء بعنوان "التراث الثقافي لمدينة دمشق" ويتضمن مطلبين، الأول للعادات والتقاليد، والذي تم التطرق فيه للأزياء وطرق التسلية والأعياد والزواج في المجتمع الدمشقي، أما المطلب الثاني تم التطرق فيه إلى الفن والعمارة والذي تناول تطور الزخرفة في دمشق وأهم المعالم الحضارية للمدينة.

قراءة في المصادر والمراجع:

إعتمدنا في دراسة موضوعنا على مجموعة من المصادر والمراجع، نذكر بعضها منها:

أحمد حلمي العلاف، "دمشق في مطلع القرن العشرين"، هو كتاب خص فيه العلاف وصف دمشق، من سكان وتسمية في مطلع القرن العشرين، وتسلط الرؤية على ما عاشه المجتمع الدمشقي من عادات وتقاليد، الملابس، الأعياد، والمناسبات، الحج... وغيرها من المواصفات الأخرى البعيدة عن السياسة.

إبن العساكر، "تاريخ مدينة دمشق"، الجزء الأول، لهذا الكتاب العديد من الأجزاء، ذات المواضيع المتعددة، خاصة الجانب الديني، الأعلام، الأماكن، الشخصيات والسيرة

النبوية... وغيرها من المواضيع، ففي جزئه الأول تطرق إلى تاريخ دمشق، حيث شمل فيه أصل التسمية، وأصل الدمشقيين.

ليندا شيلشر، "دمشق ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، ترجمة عمرو الملاح، دينا الملاح، حيث قامت ليندا شاتكوفسكي شيلشر، بجمع موضوعات تمثلت في مسح شامل لمدينة دمشق خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبينت السيطرة السياسية لفئة محلية حاكمة خلال الفترة العثمانية، التي كانت لها السيطرة في المواقع الإدارية والمجتمع، انتقالا إلى فترة التوسع الاوروبي.

أحمد صدقي شقيرات، "تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن 1864/1918"، يبدو الكتاب من عنوانه أنه يخص شرق الأردن، لكن خلال الإطلاع لما جاء في المتن، فإن الكتاب يتكلم أيضا على ولاية الشام في الفترة العثمانية والتوغل الأوروبي فيها.

الصعوبات:

- ضيق الوقت، حيث تزامن إنجاز المذكرة مع الدراسة.
- صعوبة ضبط الخطة لتناول جانبين واسعين جدا من ناحية ربط المعلومات وضبطها باعتبار الموضوع شاسع.
- وأخيرا لايسعنا سوى أن نقول أنه مازالت هناك العديد من النقاط لم يتم معالجتها في هذا الموضوع، ونعتبر دراستنا هذه تمهيدا لدراسات مقبلة.

الفصل التمهيدي: دمشق قبيل القرن التاسع عشر

المبحث الاول: أصل التسمية.

المبحث الثاني: الموقع الفلكي والجغرافي وأهميته.

المبحث الثالث: التطور الديموغرافي.

المبحث الرابع: الأوضاع العامة لدمشق قبيل القرن التاسع عشر.

تمهيد

سادت الكثير من الأحداث والأوضاع في دمشق قبيل القرن التاسع عشر، فشملت جوانب عدة، نظرا للظروف المتواجدة في هذه الفترة، ففي الجانب السياسي كانت الدولة العثمانية في فترة حاسمة، لها أثر على النظام في بلاد الشام، واحتدم الصراع بينها وبين الأطماع التوسعية الغربية، حيث وقعت مع روسيا معاهدة التي بموجبها تنازلت الدولة العثمانية على جهات من البحر الأسود، ففي هذه الفترة كانت تعيش مرحلة انهيارها وضعفها.

في مطلع القرن التاسع عشر كان الممثلون الرئيسيون على مسرح الأحداث في المشرق العربي هم الدولة العثمانية، وبريطانيا، والنمسا، فرنسا، وانتهجت الدول الأوروبية سياسات منافسة للتواجد العثماني في بلاد الشام ومن بينها دمشق، وكان من نتائجها تضارب في المصالح بين الدول، وهذا ما سنشير إليه إضافة إلى الأحداث الداخلية التي كانت تعيشها دمشق في فترة التواجد العثماني الذي قام بالعديد من التنظيمات.

المبحث الأول: أصل التسمية

تعددت التسميات حول كلمة دمشق، فكل مصدر كان ينسبها إلى تاريخ أو تسمية معينة، فلفظة دمشق بكسر الدال وفتح الميم هو الاسم الشائع في القديم والحديث، فسعى الكثير من العرب الباحثين على أن يعيدوه إلى أصله العربي، فمن بين العرب نجد أحمد بن فارس بن زكريا صاحب كتاب "اشتقاق أسماء البلدان" قال: "وأما عن دمشق فيقال إنها من دَمَشَقْ، وناقاة دَمَشَقْ، أي سريعة، ويقال دَمَشَقْ الضرب دَمَشَقَّة، إذ ضرب ضرباً خفيفاً سريعاً".¹

ويقول "ياقوت الحموي" في معجمه، أن دمشق سميت دَمَشَاقًا بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ويقول في رواية أخرى أن عازر غلام إبراهيم بنى دمشق، وكان حبشياً وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج من النار، وكان الغلام يسمى دمشق، وسماها باسمه، وحسب "ياقوت الحموي" كذلك أنه أعطى تفسيراً لغويا فقال: "وقيل سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بناءها"، وبمعنى آخر أن دمشق قد بنيت بسرعة.²

وهناك أسطورة تقول عن سبب تسميتها دمشق هو أن الابن الرابع لأرام بن سام هو ماش غادر قومه وحل ببقعة وأعجب بها (دمشق)، وأراد أن يؤسس دولة فيها، وكان أخوه عوص الأكبر قد أسس مدينة حوران وطلب من ماش أن يسمي المدينة باسم جده سام فرفض وتخاصما، وضرب عوص أخاه ماش بحجر، فانسكب دمه على الحجر في هذه المدينة، ويقال إنه مات، وسميت المدينة بثلاث أسماء:

- الأول "شام" نسبة إلى جده.

- الثاني، "دمشق" وكانت دم ماش، وهذه كلمة آرامية ومعناها دم الشقيق.
- الثالثة داما، لأنه بن يافث بن نوح، لما سمعوا الخبر قالوا: دم ماش

¹ أحمد حلمي العلاف، دمشق في مطلع القرن العشرين، تق: علي جميل نعيمة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976، ص 02.

² نفسه، ص ص 02، 03.

وورد كذلك اسم دمشقفي النقوش المصرية فحسب المؤرخ "العلاف" باسم "خيطا" وربما كان معنى هذه الكلمة الفضة، وتسمى كذلك الشام، جلق¹، جيرون² وفيحاء³، وتعتبر دمشق من أعرق المدن حضارة، بحيث كان وجودها منذ مايقارب 400 ألف سنة⁴، وقيل أيضا، أنها بنيت قبل سبعة آلاف سنة، حيث ولد فيها النبي إبراهيم الخليل- عليه الصلاة والسلام- بعد خمس سنوات من بناءها، إذا فإن وجود مدينة دمشق مرهون على التسمية التي تدل على أن العرب أول من سكن فيها.⁵

كما أطلق عليها بتسمية "إرم ذات العماد" في قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(6) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ(7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ(8) وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي(9)»⁶، وسميت بهذا الاسم لأن فيها 400 ألفا من الحجارة الضخمة، ويقول ابن العساكر في كتابه "تاريخ دمشق"، أنها أول حائط وضع على وجه الأرض، بعد الطوفان، حائط حران، دمشق ثم بابل،⁷ وأيضا قيل عنها إرم ذات العماد، وكذلك اعتبرها بعض المؤرخين أنها دار نوح عليه السلام، والعلم لله، وقال قتادة بعد قوله عزوجل: «والتين والزيتون»⁸، إذ فسرها قتادة أن التين هو جبل في دمشق، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس، وقال الضحاك إن التين والزيتون هما مسجدان بالشام... وإلى غير ذلك تختلف التسمية من مؤرخ إلى آخر.⁹

¹بضم الجيم تشديد اللام المفتوحة، اسم موضع من الشام، فعرفت به كلها. (ينظر: عبد العزيز العظمة، مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها، تح: نجدة فتحي صفوة، دار رياض الريس للكتب والنشر، دمشق، 1947، ص35).

²أسماحد الملوك الاراميين، الذي شيد قصرا ضخما في شرق المدينة، فدعي باسمه ثم أطلق على المدينة كلها. (ينظر: نفسه، ص35).

³الروضة الموسيقية. (ينظر: عبد العزيز العظمة، المرجع السابق، ص35).

⁴ عفيف البهنسي، فيحاء عمران: دراسة في تكوين دمشق، دار الفكر، دمشق، (د.ت.ن)، ص07.

⁵شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج02، دار صادر، بيروت (د.ت.ن)، ص463.

⁶سورة الفجر، الآيتين: 07، 09.

⁷ابن العساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج01، (د.ت.ن)، ص11.

⁸سورة التين، الآية01.

⁹خير صفوح، دمشق، دراسة في جغرافية المدن، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، دمشق، 1969 ص45.

المبحث الثاني: الموقع الفلكي والجغرافي وأهميته

تحتل دمشق مكانة استراتيجية هامة، جعلها ذلك عرضة إلى العديد من الأطماع وذلك بما تملكه خصائص طبيعية، وجغرافية، التي أهلتها من أن تحتل الريادة من حيث حصانة المنطقة، وموقعها البالغ الأهمية.

المطلب الأول: الموقع الفلكي

تقع دمشق بين دائرتي عرض 30° - 33° شمال خط الاستواء، وخطي طول 17° - 36° شرقي غرينيتش عند مخرج بردى، في كتلة جبلية، فيما بين الحرمون وجبال لبنان الشرقية، عند مدخل الصحراء التي تمتد شرقاً حتى الفرات، وظهرت البيوت من دمشق واستقر فيها الزرع منذ الألف الثالثة قبل الميلاد.¹

نجد أن دمشق تقع على طول ستين درجة، والعرض أربعة وثلاثون، وفي الأسطر ثلاثة وثلاثون، مثل بغداد وتونس، وإنما كثرت فيها الجبال التي تحيط بها فلا يبرح عليها الثلج²، على ارتفاع نحو 700م عن سطح البحر عند المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية، وفي بداية تلك السهول الواسعة الممتدة نحو الشمال الشرقي حتى الفرات، وجنوباً حتى قلب الجزيرة العربية وهي تقوم فوق بقعة قاسية جافة صالحة لنمو المدينة وازدهارها على الرغم من قربها من البحر المتوسط، الذي لا تبعد عنه سوى أكثر من 80كلم، فإنها تشارك الصحاري بلادالعربية الشمالية في مناخها الجاف لأن جبال لبنان الغربية والشرقية الشاهقة تؤلف حاجزاً مزدوجاً يمنع عنها مؤثرات البحر.³

المطلب الثاني: الموقع الجغرافي

تقع دمشق على سهل، الذي على طول حدود سلسلة جبال لبنان الشرقية انطلاقاً من نهر البردي، كما ساد متوسط هطول الأمطار من 200ملم فقط في السنة، إذ تعتبر نقطة

¹خير صفوح، المرجع السابق، ص ص124-126.

²أحمد الأبيش، قتيبة الشهابي، دمشق الشام في نصوص الرحالين، الجغرافيين والبلديين العرب والمسلمون من القرن الثالث عشر للهجرة، ج01، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1993، ص417.

³خير صفوح، المرجع السابق، ص241.

تقاطع طرق تجارية مهمة، وفي الوقت المبكر من 3000 ق.م، بدأ التشكل الحضاري المبكر لدمشق.¹

تحيط بأربع جهات، وتتألف من ست نواحي، حيث تضم 220 قرية ومزرعة، في الفترة العثمانية كانت مؤلفة من أربع نواحي رئيسية، وهي وادي البردي² في الغرب، ووادي العجم³ في إقليم البلان⁴ في الغرب الجنوبي، المرج⁵ مع غوطة⁶ في دمشق، جبل القلمون⁷ في الشمال، وكانت هذه القرى ترجع في إدارة مصالحها إلى الحكومة في المدينة مباشرة، حيث ان القرى تمتد مسافات طويلة يتجاوز بعضها العشر ساعات بعدا عن دمشق، وكان مجيء

¹Zara lababedi, the urban development of damascus a study of its past, present and future, udms, euroupean property development and planing dissetation unii versity collége, lodon, p15.

²يضم وادي البردي، كل من: دمر، هامة، قدسيا، الديماس، جديدة الوادي، الاشرفية، بسيمة، دير مقرن، كفر الزيت برهلية، دير القانون، الحسينية، كفر العواميد، سوق وادي البردي، البترونة، الزبداني، مضايا، بقين، بلودان، عطيب سرغايا، عين حور، يحفوف، الهريرة، افرة. (ينظر: عبد العزيز العظمة، المرجع السابق، ص35).

³يضم وادي العجم كل من: المزة، كفر سوسة، القدم، يدا، سبينية الصغرى، سبينية الكبرى، بلاس، صحنايا، الأشرقية عرطوز، جونة كوكب، العادلية، البويضة، حرجلة الكسوة، العبتسية، الحسينة، الطيب، الدلهمية، سعسع، قطنا، الصبورة راس العين، يعفور، الخيارة المقليبية، حوش، مرانة، الدرخية، خان الشيخ، حوش الدوير، زاكية الماجدية، دير علي، زغير كناكر، النفورة، شورة البكجوري، دير ماكر، السبسية، النجاج. (ينظر: نفسه، ص35).

⁴يضم قلعة جندل، كفرقوق، ميبا، بتيماكر حور، حينة، دريل، عين الشعراء، بيت جن، عرنة، ريمة، بقسيم، برقش، رحلة دير العشاير، بكا، الحلوة، جبانا الزيت، طرنجة، بيت ساير، خربة سودة، المفروغة، البسيم، الجرابية. (ينظر: نفسه، ص35).

⁵يضم الحجرية تل شعير، صهيا، جديدة، الجرش، اوتايا، الشفونية، قيسا، العبادة، حران، العواميد، جديدة الخاص، الدلبة النشابية، صرما، برنية، المتين، الصالحية، البحارية، الغريدة، الجرية، القاسمية، البلاية، العسولة، الجديدة، العتيبية الريحانة، الجعيدية، دير سلمان، الكفرين، فرصتا، الغزلانية، تل مسكان، سكا، حوش الدوير، الهيجانية، فولة الشبهة المحرودية، دير العصافير، حديدة، التركمان، حرشا، القنطرة، عذرا. (ينظر: نفسه، ص35).

⁶تضم بيلا، عقريا، جرمانا، عين ترما، جوير، القأبون، برزا، دوما، قبر الست، دير بجدل، بيت سوا، حبسرين، حوش الأشعري، الشفونية، امديرة، الريحان، بيت نايم، المحمدية، شعبا، حمورة، بيت سمس، داريا. (ينظر: نفسه، ص35).

⁷يضم، تلنك، بيروود، قارة، دير عطية، جيروود، الرحيبة، العطنة، معظمية الشرق، الضمير، القطيفة، شمل، قليطة، معرة ماس الجبة، عسال الورد، حوش العرب، انكوس، صيد نايا، تلفيتا، جلوان، الدريج، معرب، حرنة التل، المعرونة، حفير الفوقا، حفير التحتا، معرة صيد، نايايادا، عكوير، العواني، حلا، عين التينة، معلولا، حب عادين، نجعا، راس العين، قلدون القسطل، الطفيل، كريسة، مواهية، المزرعة الكبرى، الدعسة، الخربة العجوز. (ينظر: نفسه، ص35).

ذوي المصالح من أهلها إلى المدينة وإياهم يصعب ويتعذر في أغلب الأوقات، وجعلها أربعة أفضية، متوسطة البعد وذلك لتسهيل على الناس لقضاء حوائجهم، ومعاملاتهم.¹

كما نجد أن "العلاف" قد وصفها بأنها محاطة بحدائق وخمائل من سائر أطرافها وهذا يدل على أن لدمشق ثروة مائية خالصة تمكن من الاهتمام بالجانب الزراعي، وتمتلك أبوابا عدة لم يتبقى منها سوى في الجهة الشرقية، والشمالية والجنوبية.²

يضاف لذلك أنها موقعا استراتيجيا هاما، فهي تقع في السهل الجنوبي الشرقي لسلسلة جبال لبنان الشرقية على الحافة الغربية للبادية السورية، التي تمتد أطرافها إلى شبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين، فإن هذه المنطقة تطل على الأماكن حيث تتوفر المياه، وهذا لكي يضمن الحياة فيها والاستقرار، وبمرور نهر البردي³ أو كما يسمى "أباد" بها ساعدها كثيرا في أساليب الزراعة وتوفير الغذاء، والاعتماد على الجانب الزراعي الذي يعتبر أهم مورد تعتمد عليه الشعوب، وللدولة كي تتعش اقتصادها، ويعود الفضل إلى نوعية تربتها، حيث نجدها قد استغلت هذا الجانب مع بداية العصر الحديث، وطورت من الزراعة وصولا إلى الصحراء، كما أقامت تجارتها كذلك مع الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وآسيا الصغرى، وأوروبا، وشمال إفريقيا.⁴

بهذا أصبحت دمشق، تمتلك أهم محاور طرق التجارة العالمية، وهذا ما أكسبها أهمية اقتصادية كبيرة، وذلك بما تنتجه واحتتها، من فواكه، وخضار، وحبوب، وإنتاج حيواني... نظرا لما تحتله من مكانة استراتيجية وموقع هام، وسهول حمص وحلب شمالا، والسهول التي تقع ما بين سلسلتي لبنان الشرقية والغربية، ووادي العجم (جولان)، وحوران في الجنوب والجنوب الشرقي وسهوب البادية في الشرق، كما لا ننسى أنها تعتبر معبرا لقوافل الحج

¹ عبد العزيز العظمة، المرجع السابق، ص 35.

² أحمد حلمي العلاف، المرجع السابق، ص 09.

³ هو نهر يروي، غوطة دمشق بقسمها الشرقي والغربي نهر البردي، وروافده وفروعه، فالروافد عيون صغيرة وكبيرة، تتساب إليها أثناء جريانه، من منبعه في السهل الزبداني، حتى يصل إلى مضيق ربوة. (ينظر: المرجع نفسه، ص 11). (للتفصيل ينظر: خير صفوح، المرجع السابق، ص ص 83، 94).

⁴ ليندا تشيلشر، دمشق ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تر: عمرو الملاح، دينا الملاح، مر: عطاق مارديني دار الجمهورية، دمشق، 1998، ص 17.

حيث يجتمع فيها المسلمون، ومن هنا يكون الاحتكاك الاجتماعي، والثقافي، والديني... ومن ثم يواصلون سيرهم نحو مكة.¹

لم يكن أهل دمشق ضعاف الحيلة بل العكس، لأنهم استغلوا خيرات المنطقة بما هو إيجابي، فبها أكسبتهم مكانة بين الشعوب التي تحرص على المبادلات التجارية معها، وهذا ما تمتلكه من ضروريات التي يعتمد عليها الإنسان لضمان عيشه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أنها تتوسط الطريق إلى مكة، حيث طريق القوافل، إضافة إلى الاحتكاك الديني وتبادل الثقافات، ومعرفة العادات والتقاليد لكل المناطق، والرغبة في الاستزادة بما طاب من العلم في مختلف المجالات.²

أصبحت دمشق نقطة التقاء رئيسية لقوافل الحجاج الذين يؤدون فريضة الحج إلى مكة المكرمة، لذلك تم تنظيم الحج بعناية عن طريق قافلتين، الأولى تنطلق من دمشق والثانية من القاهرة مما جعلها مركزا للدولة العثمانية، أما عن عدد الحجاج فيبلغ من 25000 إلى 60000 حاجا كل عام لبدء الرحلة، إضافة إلى 30% من سكان المدينة من خلال الهجرات.³

لنهر البردي أهمية كبيرة، إذ يعتبر معبرا للوصول نحو دمشق، وهذا بالنسبة إلى القادمين من الغرب، لكنه ليس الوحيد الذي يقود نحو دمشق، وإنما يساعده في ذلك وادي "سرغايا" الذي يشكل سلسلة من الممرات، لأنها المدينة محاطة بسلاسل جبلية وهذا ما أكسبها رفعة وأهمية كبيرة، وفي ذكر الطريق نحو دمشق نجد أن "أدولفو ريفادينيرا" صاحب كتاب "من سيلان إلى دمشق"، يذكر ضمن إطار رحلته: "من أجل الذهاب إلى دمشق كان بإمكانني أن أجتاز في يومين مسافة 25 فرسخا⁴ الفاصلة بين حلب والإسكندرونة، ثم الالتفاف بعد ذلك إلى بيروت، أو أن أذهب مباشرة"، كما ذكر أيضا:

¹ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص17

²نفسه، ص17.

³Zara lababedi, Op.cit, p23.

⁴هي مقياس قديم من مقاييس الطول، يقدر بثلاثة أميال. (ينظر: معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي).

"أنه من الصعب جدا الوصول لها برا، فقد استغرق الأمر مدة 14 يوما للوصول إليها بعد مشقة في الطريق" واشترك في تحديد وجود دمشق نهر البردي، وغطوة¹ التي تكونت بفعل هذا النهر، وأما عن مناخها فهو جاف جدا، بسبب انفتاحه على الصحراء من الشرق ووجود الجبال اللبنانية الغربية والشرقية، هذا ما يمنع رطوبة البحر من التأثير عليها وأمطارها غير منتظمة، ويبقى معدلها السنوي يصل إلى 215 ملم، ومدتها ثلاثة أشهر والصيف فيها قاس وجاف، ومتوسط حرارته تصل إلى 35 درجة مئوية، وتتنخفض في الشتاء إلى سبع درجات مئوية، وأما المسكن في تكوينه منسجم مع ظروف المناخ ويتميز كذلك بالهندسة المعمارية، وهذا لأن الدمشقيين كانوا مولعين بالفن، خاصة الذي يدخل ضمن الإطار المعماري، وينسجم مع ظروف تكوينه وطبيعة مناخه.²

ويحيط بدمشق الريف من كل جهاته، فمن الشمال التل والقدسيا، ومن الغرب داريا ومن الجنوب الحجر الأسود، وبيلا، إضافة إلى داريا، ومن الشرق حرست وعربين وكفريطنا وجرمانا.³

فالموقع الذي تحتله يعتبر مهما، كونه يحمل الصفات الطبيعية، التي تضمن الحفاظ على المنطقة من كافة الجهات التي تحيط بها، وهذا ما جعل شعبها يطور من عمليات كسب العيش وهذا ما نجده حسب الاحتكاك الذي قامت به تعريفا بتجاريتها والرغبة في الازدهار والتنوع، رغبة في التواصل، وبتأثرها مع محيطها الخارجي.

تميزت مدينة دمشق بأنها واسعة على ولايات بلاد الشام الأربع، حيث كانت تشمل القسم الداخلي من فلسطين وحووران، حتى معان جنوبا، والبقاع غربا، وحماة شمالا، حتى حدود ولاية حلب التي امتدت إلى جبل الأمانوس، وإسكندرية، وكانت هناك ولايتين

¹ عبارة عن حدائق متصلة ببعضها البعض، منبسطة على ضفاف نهر البردي، وفروعه السبعة، تتخللها مياه عذبة تجعلها دائمة الاخضرار وكثيفة الاشجار، وعل مسافة ستين ميلا طولا تبتدأ من ينبوع نهر البردي بالقرب من قرية الزيداني وتنتهي عند مصبه في بحيرة العنبيبية فيشرقها (ينظر: عبد العزيز العظمة، المرجع السابق، ص41)

² أدولفو ريفادينيرا، من سيلان إلى دمشق، تر: صالح علماني، دار المدى للثقافة والنشر، إسبانيا، 2009، ص ص165-171.

³ عبد العزيز عبد الكريم بخيت، الجزيرة الحرارية لمدينة دمشق، رسالة دكتوراه في الجغرافيا الطبيعية، اختصاص مناخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الجغرافيا، جامعة دمشق، 2017، ص03.

ساحليتان، ولاية طرابلس وتمتد من اللاذقية حتى جبيل، وأخيرا ولاية صيدا وتمتد من جبيل إلى غزة مروراً ببيروت وعكا.¹

فجغرافيتها تعد مميزة، جعلتها تحتل الريادة ومكانة عن غيرها من المناطق الأخرى التي تفنقر إلى المساحة التي تنهض بها اقتصادها وتحافظ على بقاءها، فتوجد الموارد المائية فيها يجعلها كذلك مصدراً للرزق من أجل سقاية الأراضي والانتفاع بخيراتها، والتي تعتبر أهم شيء يعتمد عليه الإنسان أولاً، وثانياً هو الغرض التجاري، وثالثاً الغرض الاجتماعي والديني من أجل التواصل.²

أكسب موقعها تحصيناً لها ويرجع هذا إلى الجانب الطبيعي، حيث تحيط بها من كل الجهات الشمالية، الجنوبية، الشرقية والغربية، مما جعلها محمية من الأخطار التي قد تواجهها من الخارج، وهذا الموقعوما يحتويه من الجبال، كما بنوا الأسوار والقلاع والأبراج، ومثال عن ذلك هو أنها تكونت فوق هضبة متوعدة من الجبل، ومن المعروف أن الجبال من الصعب عبورها، خاصة وإن دمشق تتوسطها، فهي محمية من الداخل، أو بالاستدارة بحراً ونهراً حتى لا يصل إليها إلا بعد عبور جسر أو قنطرة فيصعب بذلك منالها، ويتضاعف تحصينها، مما بتشكل لديها طابع دفاعي وعمراني ومعماري نظراً لموقعها المتميز.³

¹ محمد سعيد الأسطواني، مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر 1840/1861، تح: أسعد الأسطواني وزارة الإعلام، 1993، ص33.

² محمد سعيد الأسطواني، المرجع نفسه، ص33.

³ محمد يسار العابدين، أثر الميثولوجيا الدمشقية في نشأة المدينة ونموها ميثودولوجيا في تاريخ قدسية المكان، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، مج 28، ع 02، جامعة دمشق، سورية، 2012، ص19.

المبحث الثالث: التطور الديمغرافي في دمشق

يسند اختلاف كل منطقة عن أخرى إلى جانبها الحضاري والتاريخي أو إلى تكوينها البشري وموقعها الاستراتيجي، لذا نجد في دمشق الكثير من السلالات البشرية: الآشوريون البابليون والمصريون...، ولكن أول من سكن دمشق المسلمين، وكان تواجدهم منذ بداية الألف الرابعة قبل الميلاد، وبقوا فيها إلى يومنا هذا، فتفوق العنصر العربي فيها على الوفود الأخرى نتيجة الاندماج والتمازج والمصاهرة، وتشكل العنصر البشري الدمشقي، الذي غلب عليه لون البشرة بين البياض والسمر¹.

أما عن عدد السكان، فكان من الصعب تحديدهم حسب كل فترة من الزمن، منها من تتوع عدد السكان بين الفترتين في العهد العثماني، ومنها من كان في العهد الاستعماري، فقد عد المستعمر الفرنسي عدد السكان، في إحصائيات حسب التقارير، فنجد ليندا شيلشر، قد أعطت أرقاماً حسب التقارير الفرنسية التي شملت تقرير الرحالة الفرنسي "فولني" (Voulné) حيث قدر نسبة السكان فيها بـ 40,000ن، ما بين السنتين 1783-1784، كما قدرت الحملة الفرنسية سنة 1799 العدد بـ 90,000ن، كما ذكر "باورينغ" (Paoering) في تقريره أيضاً، إن عدد سكان دمشق قد بلغ 100,000ن، إذ الملاحظ أن عدد سكان دمشق في تزايد مستمر، وذلك حسب النسب المقدمة من قبل السلطات الاستعمارية، أما عن إحصائيات الدولة العثمانية فقد قامت بعدهم خلال القرن التاسع عشر، وذلك بإعطاء النسبة التالية حيث وصلت إلى 138,211ن، أما بالنسبة للعلاف فذكر أن عدد السكان قد بلغ 300,000ن في فترة 1897، فيعني أن عدد السكان غير ثابت فهو في تزايد مستمرين فترة زمنية وأخرى، وهذه الإحصائيات كانت ما بين أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع، إذ تميز بعدم الثبات².

ونجد أن المدينة، في سنة 1816 قدر عدد سكانها حوالي 120000 أو 130000ن وفي منتصف القرن التاسع عشر أحصى "بورتتر" (Portter) في كتابه "خمس

¹ عبد العزيز العظمة، المرجع السابق، ص23.

² ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص ص18، 19.

سنوات في دمشق" أن سكان دمشق قد بلغ 150000ن، وقد وصفتها الوثائق الفرنسية بأن الإقامة فيها شيقة وهائلة كما أن لموقعها كذلك دور في تنشيط الحركة التجارية، لأن لها مكانة استراتيجية سمحت لقوافل بغداد، وفارس بالمرور نحوها وهي في طريقها إلى الحج ففي دمشق كان يلتقي فيها حوالي 30 ألفا من المسلمين يقودهم الوالي إلى مكة، ثم يعود بهم¹، وهذا من بين العوامل التي ساهمت في تزايد عدد السكان.

لقد تم تقديم أرقام عدة، واختلفت حسب كل سنة، في إطار جمع الإحصائيات والمعطيات حسب كل تقرير تم تقديمه، سواء أكان الأمر من السلطات الفرنسية، أم من طرف الدولة العثمانية، فكلها توجي بأن حجم سكان دمشق في تزايد، وهذا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ففي محطات متباينة يوجد هناك نشاط سكاني لمدينة دمشق، حيث يرجع هذا التزايد إلى جوانب عدة، فمنها السياسية، الاقتصادية، الثقافية، والدينية، التي أثرت بدورها على حجم التغيرات السكانية، وعلى سبيل المثال، هجرة الفلاحين من الريف، لأنه كان محاصرا من قبل الجيوش العثمانية، فهذا المجال ليس الوحيد الذي نرجعه إلى التطور السكاني من حيث العدد، بل وقد يوجد مجالات عدة تترجم هذا الوضع.²

يذهب "العلاف" بأفكار أخرى حول مبدأ تأسيس مدينة دمشق، والأمم الأولى التي أنشأتها واستوطنتها، حيث صرح أنه: "لم تتوفر لدى علماء التاريخ والآثار الأدلة المقنعة عن حقيقة مبدأ تأسيس مدينة دمشق"، لم يكن أهلها إلا من النتاج الطبيعي، وهذا يرجع إلى تكوين تربتها التي تمتاز بجودتها لأنها تربة زراعية تساعد السكان على العيش والإقتات منها، فالعوامل الطبيعية هي العامل الآخر على غرار الجانب الاجتماعي الذي تمثل كما ذكرنا مسبقا توافد قوافل الحج إليها تساهم وبشكل كبير في الحفاظ على المصدر الضروري في الحياة البشرية، وأيضا أجوائها المتباينة، ومناخها، الذي لعب دورا كبيرا في عملية الاستقرار لشعوبها، أما الجانب البشري، فقد امتازت شعوبها بالبساطة، وهم أشداء، حيث

¹ محمد سعيد الأسطواني، المرجع السابق، ص 33.

² ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص 18، 19.

يسعون إلى التواصل والارتباط بالشعوب الأخرى، كونهم يمتلكون فطرة وسلوك اجتماعي يميزهم عن غيرهم من الشعوب، كما يلتمس فيهم كذلك روح المرح، واللين في المعاشرة والكثير من الصفات التي لها الجانب الإيجابي في التعامل والتصرف، لكي يضمن الفرد استقراره.¹ (ينظر إلى الملحق رقم 01، ص125.) و(الملحق رقم 03، ص127).

¹ أحمد حلمي العلاف، المرجع السابق، ص ص05، 06.

المبحث الرابع: أوضاع دمشق قبيل القرن التاسع عشر

لقد كان للنظام السياسي في دمشق دور في تنظيم المجتمع الدمشقي وذلك من خلال القرارات التي تصدرها الهيئة العليا في الأستانة، وذلك بموجبها تطبيق ما يجب تطبيقه من أجل إبقاء الحكم تحت سيطرتها وذلك من خلال وضع نظام إداري، وأما المجالات الأخرى فهي من اجتهاد الشعب سواء أكان ذلك اقتصادياً أو اجتماعياً، أو عسكرياً.

المطلب الأول: الأوضاع السياسية والإدارية

طبقت الدولة العثمانية نظامها السياسي في دمشق، بموجب مجموعة من القوانين التي تحكم الشعوب، فنجد العثمانيين حريصين على سلامة قوافل الحج، ونجحوا بذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر، حيث قاموا في دمشق بهيكله إدارية، وقضائية، وشبه إقطاعية، وتوالى عليها عديد الحكام منهم عبد الله باشا الذي توفي سنة 1761، وحكمت أسرة آل العظم للمرة الثانية، وكان عثمان باشا الملقب بعثمان الصادق هو حاكم دمشق وأيد العثمانيون حكم هذه الأسرة، فقاموا بتوظيف إتباع وأقارب هذه الأسرة إلى أن جاء الظاهر عمر، الذي فاجئ كل من عثمان باشا والباب العالي بغزوه لدمشق، فاستسلم دون أي مقاومة وذلك سنة 1771، وبعدها عزل عثمان باشا المصري نظراً لتفوق الظاهر عمر واستبدل بمحمد باشا العظم سنة 1773، وحكم القرية قرابة عشر سنوات، وكانت أفضل سنوات آل العظم، وبعد وفاته عام 1883 حكم إبراهيم باشا من العام 1790/1786 وخلفه أحمد باشا الجزائر، الذي يعد أسوأ حاكم شهدته دمشق.¹

كانت الأحوال السياسية العامة، عبارة عن فتن وحروب وسوء الإدارة وفوضى وكانت البلاد تسير من فساد إلى فساد، وكان الولاة يتعاقبون على الحكم، ولم يتجاوز ذلك السنة، ومنهم حتى من حكم فيها سوى أشهر أو لأيام فقط، ولقد تعاقب على دمشق في قرن وأحد 81 والياً، حيث كان والي لا يتمكن من الإصلاح حتى وإن أراده، وكان يعمل سوى على جمع الأموال بالطرق المتنوعة كما أنهم كانوا يبيعون المناصب، ويزيد ثمنها حسب كل

¹ غدير أبو خليل، التطور التاريخي لأهم خانات مدينة دمشق ونواجدها خلال الحكم العثماني فيما بين 1203/1011هـ، 1789/1603، دراسة سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، رسالة ماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دمشق، 2016، ص45.

منصب، كما أن دمشق كانت حكومتها لا مركزية أي حكومات أمراء ومشايخ، يقومون بحكم المنطقة، فمثلاً إذا تخاصم إثنان، كانا يتقاضيا عند الشيخ، ويقبلان حكمه لا محالة، ومن خالف العادات والتقاليد يسجن.¹

إعتلى النظام الإداري في دمشق على رأس السياسة العثمانية، حيث نجد أن النظام الإداري في دمشق حسب النظام العثماني، أنه مقسم إلى فئتين، الفئة الحاكمة والفئة المحكومة، التي تعد تحت لواء الإدارة العثمانية، فكانت المناصب مقسمة كما يلي:

الفئة الحاكمة:

الوالي: هو الممثل للسلطان في الولايات ومنها دمشق، وحمل إسمه العديد من المصطلحات فمنها، الباشا أو الوزير...، يقوم السلطان بتعيينه، حسب المدة التي وضعها له وقد يتم عزله من منصبه، كما أن دمشق كانت تتوسط قوافل الحج، فكان يشرف على قافلة الحج الشامي كأمرير للقافلة، وكان للوالي أعضاء وحواشي كبيرة، تشبه حواشي الصدر الأعظم في إسطنبول.

الدفتار الدار: هو أحد الأعضاء الرئيسيين في ديوان دمشق، ويتأصل دائرة تسمى الخزينة ويتم تعيينه في إسطنبول، وكان بيده إدارة موارد المدينة المالية، ويقوم بجمع الضرائب، وكان يكلف بنظارة الاوقاف والأماكن الدينية، ويساعده في ذلك بعض الضباط والكتاب والموظفين، حيث نجده يتمتع بنفوذ كبير خلال القرن الثامن عشر، بمدينة دمشق.²

الكاخيا أو الكتخدا: كلمة عثمانية، ترجع أصولها إلى الفارسية، وتعني "سيد البيت" وتحمل معنى كمدير ووكيل الأعمال، وتعدد لفظ هذه الكلمة في أكثر من موضع، ككاخيا للدفتار الدار...، ويتم تعيينه لعام وأحد فقط، وبعضهم، يستمر طيلة بقاء الحاكم في دمشق، واستلم هذا الأخير كذلك مهام إضافية في بعض الفترات، كقيادة قافلة الحج الشامي.

الصوباشي: وهو رئيس الشرطة، ويسمى كذلك الصوباصي، ورئيساً لفرقة السباهية، ويعد أعلى مرتبة في السلك الأمني، ومن مهامه الحرص على أمن المدينة، وأسواقها.

¹ عمر أبو نصر، سورية ولبنان حتى القرن التاسع عشر، ط02، مطبعة وزنكوغراف طبارة، بيروت، 1927، ص88.

² عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، 1914/1864، دار المعارف، مصر، 1969، ص90.

المستلم: يعينه الباب العالي، ويطلق عليه اسم صنّجق بك، ويساعده في عمله القاضيوالمفتي، وبعض الموظفين والضباط¹، كما يعتبر أيضا البديل لكل موظف إلى حين يأتي الموظف الحقيقي إلى منصبه، ويطلق عليه كذلك بالوكيل حيث يقوم بالإشراف على عمل ما إلى عودة سلفه من الحرب أو السفر، وأطلق هذا الاسم على الأشخاص الذين تولواإدارة السناجق والأقضية التابعة للولاية والمتصرفين قبل عهد التنظيمات.²

العلماء: هم رجال الدين والمدرسين، والمفسرين والأئمة، وغيرهم، تمتعت هذه الفئة بمنح الصفة الشرعية السياسية للحكام، كما يسلم لها عدة مناصب مثل القضاء، النيابة، ادارة الأوقاف...

المتصوفة: هي التي تصنف ضمن الطرق والأخويات، وهي الوحدات الرئيسية في التوجه الديني، وتنشط في التعبئة لشرائح المجتمع، والطبقة السياسية.

الجماعات الشبه عسكرية: هي جماعات مسلحة غير رسمية، بعلم من السلطة، وكان لها الاستمرار في المجتمع، وكانوا الأكثر ظهورا من الجماعات السياسية في دمشق، وكانوا على صلة بالأغوات، ويقومون أحيانا بأعمال الشرطة(الصوباشي).³

إضافة إلى ذلك نجد أيضا لدى الفئات الحاكمة، من الأشراف⁴ وفئة ضباط الجيش والأغوات، والزعماء⁵الذين كان لهم بسط نظام الحكم في دمشق.

¹ يوسف نعيمة، مجتمع مدينة دمشق، ج2، دار طلاس، دمشق، 1986، ص225.

² سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص199، ص200.

³ ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص ص136، 138.

⁴ هم الذين يعد نسبهم من النسب الشريف، حيث ينسبون الي النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت لهم امتيازات كثيرة فيما يخصالقضاء، كما ادخل في بعض الاحيان فئة الاشراف إلى فئة العلماء، وقاد بعضهم الطرق الصوفية، والطوائف الحرفية، وتعاملت معهم السلطة الحاكمة عن طريق نقيب الاشراف. (ينظر: غدير أبوخليل، المرجع السابق، ص ص64، 65).

⁵ أهم فئات الطبقة الحاكمة، حيث شكّلوا مع زعماء السباهية شريحة لها وزن لما لهم من سلطة عسكرية، وإدارية، والنفوذ في الجانب السياسي، وتمتعت بالكثير من الامتيازات الاقتصادية، وكان بعضهم من حاشية الحاكم، أو اعضاء في مجلس الحكم للولايةفقد حصلوا على مناصب متعددة، وهذا ما جعلها قوة كبيرة ذات النفوذ، ودخولهم إلى الجانب التجاري، لكن أدت أطماعهم في جمع الثروات إلى استخدام العنف في تحصيلها والاستيلاء عليها، مستغلين نفوذهم وسلطتهم، وكان

الفئة المحكومة: شملت كل من الحرفيين، والتجار، والفلاحين البدو، والرقيق، بحيث تتمكن الدولة من تطبيق القوانين عليها، وإخضاعها لقوانين عدة، تدخل ضمن إطار التنظيم. لقد اتفق الكثير من المؤرخين بان حكم الدولة العثمانية في البلاد العربية أنه كان حكما سطحيا، مع إدخال بعض التعديلات البسيطة التي كانوا يرونها تحقق السيادة العثمانية، أما عن وظيفتها فقد اقتصر على حماية ممتلكاتها من الأطماع الخارجية التي أصبحت تشكل خطرا عليها، وكانت تعمل على جمع الضرائب، إضافة إلى المشاكل والخصومات بين الناس التي كانت تلقى على عاتق الطوائف والمؤسسات الاجتماعية والدينية، فلم تفرض الدولة العثمانية حكمها وهذا لضمان الولايات العربية الولاء لها، وبسط نفوذها في المناطق، وهذا ما خلفته من عدم وجود سياسة واضحة ومحددة داخل مناطق النفوذ، ففي هذه الفترة كانت الدولة العثمانية تشهد أوج فترات ضعفها، خاصة مع ممارساتها الأخيرة ضد العرب.¹

أما البلاد السورية فكانت تنقسم إلى أربعة اقسام إدارية، أو بالأحرى إلى إيالات فالأولى إيالة حلب، والثانية إيالة دمشق (في أواسط البلاد مما يلي الشرق) والثالثة صيدا أو بيروت (أواسط البلاد مماليي الغرب) والرابعة إيالة القدس الشريف، فكل وال فيها مستقل عن الآخر، وذلك بأمر من الباب العالي، إلا أن هذه الإيالات يحكمها قائدا عاما يدعى مشير العرضي الهمايوني الخامس، الذي تولى الشؤون العسكرية للولاية، ولم يزل نظامه قائما إلى حد الآن، وكان لكل إيالة مجلس شورى مؤلف من بعض العلماء المسلمين والوجهاء وأهل النفوذ والباشا، يترأسه والي، ومن شأنه النظر في الأمور المالية والحوال الجندية.²

بينما الحكم في الدعاوي الجنائية منوطا بالقاضي باشي، ومركزه في باب السراي الأميرية ثم بالتفكجي باشي، وهؤلاء الجماعة كانوا رؤساء القراقولات في المدن، لا يفقهون شيء في الحكم وكنوا يحكمون على حسب ما تمليه أهوائهم لذلك، ولم يكن لهم قانون

الاغوات هم الأكثر ارتباطا بالسلطة، لأنهم ينتمون إلى صفوف الانكشارية، لكنهم مع الوقت اصبحوا من السكان المحليين. (ينظر غدير أبو خليل، المرجع السابق، ص 64، 65).

¹ محمد بوسلامة، "المشرق العربي تحت الحكم العثماني"، المجلة الخلدونية، مج 09، ع 02، جامعة تيارت، ص 183، 184.

² سهيل زكار، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، التلويح للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، (د.ت.ن)، ص 57.

يعرف، وهكذا كانت تضبط الحقوق بذلك العصر، فالوالي لا يتدخل، وأما الخصوصيات فكانت تتاط بطوائف الأديان تحكم بها كل طائفة حسب تقاليدها.¹

المطلب الثاني: عسكريا

أدخلت الدولة العثمانية نظام العساكر إلى بلاد الشام، وقسمتها إلى إيالات وألوية وأقضية ونواح وقرى، ووزع العساكر لمراقبتهم، وتمثل هذا الجيش بجيش الإنكشارية، لكن حسب ما يقال فإن الدمشقيين أفسدوا الجند الإنكشارية التابعين للدولة العثمانية، حيث علموهم التجارة، فحولوهم الشجاعة إلى الكياسة، ومن فرد إلى أفراد بالزواج، واندمجوا مع الاهالي، وتحولوا من فقير إلى مالك المؤسسات والبسوة العباءة الأميرية، وامتطى الخيول للنزهة لا للحرب، وبهذه الطباع والسلوكيات أضاع المجتمع الدمشقي جهود السلاطين الذين ظنوا أن جنودهم ستبقى على تدريبهم وتربيتهم، حتى خرجوا يحملون عادات هذا الشعب فتوالد الإنكشارية عدة أجيال وكل جيل اتهم بما قبله بالغباء، فالسلطان ليس مقدسا كونه يعاشر المئات من النساء، ويأكل ما لذ وطاب، ولا يقود أي معركة، وعمد إلى خلع بذلته العسكرية، وعاش كالأهالي، فغدا جندي الأمس إقطاعي اليوم.²

المطلب الثالث: الأوضاع الاقتصادية

اعتمد النظام العثماني في دمشق على الأرض، والذين استقروا فيها إلى أن سقطت فأغلب الأراضي كانت في الغالب تنهب وتسلب، وتُضم إلى أملاك السلطان، فترسل الدولة العثمانية فرسانها المعروفين بالسباهية³، ليشرفوا على الأراضي المقطوعة التي سميت بالتيمار⁴، وكان الضباط هم الوسطاء بين الدولة المالكة للأرض والفلاحين، وغالبا ما يقومون بجباية الضرائب من أجل الخزينة المركزية بإسطنبول، بل وكانوا يجبرون الفلاحين

¹ سهيل زكار، المرجع السابق، ص 57.

² دريد رزق، العساكر العثمانية في ولاية دمشق 1516، 1826، بحث ماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر دمشق، 2018/2017، ص ص 127، 128.

³ من السباهي، وتعني الجندي، أو الجيش، أو الجند، كلمة من أصل فارسي، يقصد بها صنف من العساكر الفرسان. (ينظر: غدير أبو خليل، المرجع السابق، ص 52). يعود تأسيسها إلى زمن محمد الفانح 1451، 1481 وهي أولى فرق القبول (عبيد الباب)، وهي الخيالة، وسميت بفرقة العلم الأحمر، تألفت من ثلاثمئة فرقة، وتتكون كل واحدة منها على 20، 30 شخصا وكانوا منتشرين بكثرة في دمشق. (ينظر نفسه، ص 56).

⁴ دخله لا يزيد عن 20 ألف اقجة، ويعطى لجنود السباهية. (ينظر نفسه، ص 56).

على الخدمة الدائمة في الجيش، إذا لم يقوموا بتسديد الأموال المطلوبة، كما ساد نظام الالتزام.¹

أصبحت الجباية في أواخر القرن الثامن عشر تتم عن طريق متعهد الضرائب أو الملتزمين، فبدأت مرحلة جديدة وأصبح فيها الوسطاء المحليون والأجانب يهيمنون على عملية التبادل، بعد أن أصبحت الوظيفة الأساسية للأملاك والأراضي هي تقديم منتجات قابلة للبيع في الأسواق العالمية، لكن بعد العجز الكبير لدى الدولة العثمانية تحول نظام التيمار إلى نظام المالكانية²، فزادت الضرائب ما بين أواخر القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر، حيث خفض ثمن العملة، ف 500 قرشا كانت تساوي سنة 1795 ما يعادل 750 فرنكا ذهبيا، وفي عام 1842 أصبح 100 فرنكا ذهبيا، كما أن القرش الذي كان يساوي 1,50 فرنكا ذهبيا، أصبح عام 1858، يساوي عشرين سنتيما.³

المطلب الرابع: الأوضاع الاجتماعية

نظرا للعدد الكبير من الجماعات الإثنية (القومية، اللغوية والدينية) التي كانت تقيم بدمشق وتتوعها، فالأغلبية كانت من العرب السوريين المسلمين ذات المذهب السني، ولذلك فقد كانت ضمن الكتلة الكبيرة من السكان تتحدد تبعا لمعايير غير إثنية، ثانيا نادرا ما كانت لأقليات الأثنية معزولة عن الأغلبية.⁴ لقد تعددت الأجناس بدمشق، لكن الأغلبية كانت للعرب السوريين.

فرغم الاختلاف بين عناصر المجتمع الدمشقي، إلا أنهم كانوا في علاقة احترام مع بعضهم البعض، حتى وإن كان الانتماء يختلف على أساس مذهبي أو قومي، فهذا لم يولد النفور بل وعلى العكس أكسبهم علاقة جيدة مع بعضهم البعض، رغم أن هناك اختلاف في العادات والتقاليد، في الأفراح، فهذا أكسبها تنوعا، أما عن المرأة الدمشقية، فكانت لها مكانة

¹ هو شكل من الأشكال الإدارية المالية، الذي طبقته الإدارة العثمانية على الأراضي الزراعية بجمع ضرائبها (ينظر: جمال عبد الرحيم خليفه عبد الرحيم، "نظام الحكم في مصر 1814، 1882"، مجلة كلية الآداب، مج 65، ع 65، جامعة المنصورة، أوت 2019، ص 03 وما بعدها).

² أي الالتزام بالضرائب لمدى الحياة. (ينظر: محمد سعيد الأسطواني، المرجع السابق، ص 27).

³ نفسه، ص 27.

⁴ خير صفوح، المرجع السابق، ص 37.

في حياة الأسر، حسب كل عقيدة، سواء تعلق الأمر بالمسلمة، أو المسيحية، فلكل منهما ضوابط يجب أن تتحلى بها حسب ما تمليه عليها عقيدتها الدينية، وثقافيا فكان التعليم محل اهتمام السكان، فتوفرت بذلك المدارس والكتاتيب، وخاصة الجامع الأموي. ولاننسى أن للعلماء دور كبير في التأثير من الجانب المعنوي، والفكري للمجتمع.¹

فقد كان الدين الإسلامي ذا أثر على المجتمع، في جميع حياتهم، لكن من الجانب العلمي سادها الجهل، وكانت اهتمامات الناس قبل توفر المدارس، وكانت الخرافات والأباطيل تلعب دورا هائلا في حياة الناس، وأمابرامج التعليم الابتدائي بأكمله في أيادي المشايخ المسلمين والقساوسة المسيحيين، واقتصر تعليم المسلمين على دراسة اللغة العربية وعلى العموم الفقهية، وتفسير القرآن الكريم، ومبادئ الحساب، وكان الانحطاط أيضا مصير الثقافة العربية.²

تعتبر دمشق واحدة من أقدم المستوطنات المدنية المأهولة في العالم تاريخيا، حيث نجدها ذات التركيب الخاص المكون من العناصر الجغرافية، والبيئية، والانسان، الذين يعتبرون كأهم العناصر لتشكل مدينة دمشق، لذلك نجد ان تسمياتها قد تعددت، وكل مؤلف حسب تأويله لها، ولما يعود أصل هذا الاسم، فجاءت آراء عدة حول ذلك، فيعتبر العرب هم السابقون في الاستقرار فيها ونشر معالمهم، وكذلك حدودها، فموقع دمشق يعتبر استراتيجيا بامتياز، وهاما، لأنها محمية من الأخطار الأجنبية أولا، وحصنا لها ثانيا فيصعب الوصول إليه، لأنها محاطة بالجبال، وتتوسطهم مدينة دمشق، فنجد إن سكانها في تزايد حسب التقارير المقدمة من طرف الدولة العثمانية أو السلطات الفرنسية.

وسادت الأوضاع في دمشق قبيل القرن التاسع عشر في الجانب السياسي، إلى جملة من التنظيمات الإدارية والوظائف، أما الوضع الاقتصادي فقد اعتمد على قوافل الحج الشامي، الذي تزدهر فيه التجارة، أما من الجوانب الأخرى فقد نلتمس فيها بعض الإيجابيات والسلبيات التي طرأت عليها. لكن مع تحفظها بجانبها الثقافي من عادات وتقاليد.

¹ غدير أبو خليل، المرجع السابق، صص 72-76.

² محمد سعيد الأسطواني، المرجع السابق، صص 22-24.

الفصل الأول: الواقع السياسي لدمشق خلال القرن التاسع عشر.

المبحث الأول: الإصلاحات السياسية لدمشق ما بين 1792-1839.

المبحث الثاني: دمشق في عهد التنظيمات في فترة 1839-1876.

المبحث الثالث: دمشق في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1908

تمهيد

احتلت دمشق مكانة على الساحة السياسية حيث توالى على حكمها العديد من السلاطين، والباشوات، والآغوات... وغيرهم، وهذا ما جعلها عرضة لكثير من الأحداث سواء كانت تمس النظام أو المنصب في حد ذاته، لأن الكثير من المناصب كانت بالتوارث لكن سرعان ما تغير الأمر وأصبحت عرضة للبيع، وتقديم الرشاوي، وهذا مع نهاية القرن الثامن عشر وطيلة القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، مما أفقد ذلك هيبة الدولة العثمانية، وجعلها تنهار وتندثر مع ظهور الأطماع التوسعية الأوروبية.

وفي هذا الفصل سنسلط الضوء على تلك الأحداث المسجلة في القرن التاسع عشر في المرحلتين الإصلاحية والتنظيمات.

المبحث الأول: الإصلاحات السياسية في دمشق ما بين 1792-1839.

مرت العديد من الولايات العثمانية بمجموعة من الإصلاحات التي شملت كل من

فترة السلطان سليم الثالث 1792-1808 إلى غاية فترة السلطان محمود الثاني 1839.

المطلب الأول: دمشق في عهد السلطان سليم الثالث 1792/1808.**01- طبيعة الحكم:**

يقصد بنظام الحكم مجموعة من الأحكام والقوانين في إطار منظم، التي تضعها السلطة من أجل تدبير أحوال المسلمين، والابتعاد عن الفساد، لذلك يعتبر جزءا من السياسة الشرعية، ودمشق تبنت في هذه الفترة نظام الحكم العثماني، إذ شمل السلم الإداري السلطان، ثم الوالي، ثم المناصب الأخرى التي تخضع لسلطة الوالي، وهو بدوره ينفذ ما جاء في فرمان السلطاني، وما احتواه من القوانين والتشريعات¹.

في هذه المرحلة والتي تدعى بفترة الإصلاحات شهدت تغيرات عدة، فالإصلاحات فكرة استوحتها النظم العثمانية من الطابع الغربي التي رأت فيه نوع من المحافظة على بقاءها وعدم زوالها، فالطريقة التي اعتمدها فيما بعد هي الحفاظ على مركزية نظام الحكم، شملت هذه الإصلاحات فترة سليم الثالث، ومحمود الثاني أي من الفترة الممتدة من 1792 إلى غاية 1839، شهدت الكثير من الوقائع السياسية.

ما يميز أنظمة الدولة العثمانية في دمشق، هو السعي نحو تجسيد التنظيم الإداري إذ أن الدولة العثمانية تحرص على تنفيذ القوانين أو فرضها، وهذا لضمان استمراريتها على المناطق التي تخضع لها، من خلال إبراز قوتها خاصة في جانبها السياسي، الذي يعتبر أهم الأمور التي تضبط سلوك المجتمع أولا، وثانيا لرد الأخطار الأجنبية التي تسعى لتوطيد أقدامها في المشرق العربي وبما فيه دمشق².

أما السلم الإداري فيها فنجدته على النحو التالي:

¹ جميل بيضون، تاريخ العرب الحديث، دار الامل للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت.ن)، ص63.

² نفسه، ص64.

السلطان: يتمتع بسلطات واسعة، فهو بمثابة رئيس الدولة حالياً، وقائد القوات العثمانية ورئيس الهيئات الحاكمة، يصدر الفرمانات، والأوامر التي تخص تنظيم الحكم.¹

الديوان: يضم في سلكه الإداري:

الصدر الأعظم: حيث كانت الإدارة العثمانية في البداية لا تضم إلا وزيراً وأحداء، ثم أضافت وزيراً ثانياً، والصدر الأعظم بمثابة الوزير الأول الذي توكل إليه مهمات في أطر سياسي ويشرع في تنفيذها.²

الوزير: مستشار أول للسلطان.³

الدفتري ديوان: يهتم بالأمور التي تخص الجانب الاقتصادي للدولة، وحامل لدفاتر الدولة، إذ نجده حريص بالسعي إلى زيادة دخل الخزانة المالية، وتحول في أواسط القرن التاسع عشر إلى "نظارة المالية".

شيخ الإسلام:⁴ من أهم أعضاء الديوان، لأنه مفتي الدولة العثمانية، وهو المرجعية الدينية في كل المسائل الشرعية، وتوكل إليها الأمور القضائية خاصة.⁵

02- التعريف بالسلطان سليم الثالث:

هو ابن السلطان مصطفى الثالث⁶، تولى السلطة بعد وفاة عمه عبد الحميد الأول سنة 1788م/1203هـ، في الفترة التي تولى فيها الحكم سادتها فترة حروب واضطرابات وفوضى وإخلال بالنظام، لأن الدولة العثمانية خاضت معارك مع الطرف الأوروبي، ترتب عليه مواجهته لأعدائه الأوروبيين (روسيا والنمسا)، وهذا ما أدى به إلى التنازل على بعض

¹كارل بروكلمان، الأتراك العثمانيون، وحضارتهم، تح: ابنية أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين للنشر والطباعة، بيروت، 1949، ص93.

²أحمد زكريا الشلق، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة، مصر العربية للنشر والطباعة، بيروت، 1949، ص45.

³كارل بروكلمان، المرجع السابق، صص92-97.

⁴هو لقب يطلق على مفتي استنبول، فقد رأى السلاطين العثمانيون إلى ضرورة تمييزه عن سائر زملائه من رجال الافتاء الذين كانوا يعملون في الاقليم، والمدن الكبرى. للمزيد. ينظر: (عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج01، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1980، صص401، 402).

⁵أحمد زكريا الشلق، المرجع السابق، ص55.

⁶عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، دار وحي القلم، دمشق، 2006، ص125.

المناطق الأوروبية، وبهذا تقلصت مساحة الدولة العثمانية، هذا على المستوى الخارجي، أما داخليا فنجد أن السلطان سليم الثالث حرص على الإصلاح، وخاصة الجانب العسكري الذي كان أولى اهتماماته، حيث بدأ بتنظيم الجيش، الذي كان يتكون من الانكشارية، الذين أصبحوا سببا لكل فتنة تحدث، فنجدهم قد اختلطوا مع المدنيين، وابتعدوا عن المهمة العسكرية التي تتمثل في الحماية والتصدي لكل هجوم أجنبي يهدد أمن المنطقة، فلجأ سليم الثالث إلى صناعة السفن، وصناعة الأسلحة، وخاصة المدافع، على الطريقة الفرنسية والتعليم العسكري الغربي.¹

ومن الإصلاحات الداخلية نجد:

- مطاردة قرصان البحر لتسهيل التجارة على شواطئ الدولة العثمانية.
- إصلاح الثغور وبناء القلاع الحصينة.
- جلب مهندسين من السويد وإنجلترا لإنشاء مراكب حربية حديثة.
- استحضار مهندسين مهرة لصب المدافع فب المعامل الطوبجية وإصلاح المدرسة الحربية.
- تدريب فرق جديدة في الجيش على النمط الأوروبي.²

الملاحظ أن الدولة العثمانية في فترتها الأخيرة كانت تعيش مرحلة الضعف، أدى ذلك إلى تردي أوضاعها، مما أدى بالسلطين إلى الإصلاح التدريجي، والذين أخذوه نقلا عن النظم الأوروبية، فنجد أن السلطان سليم الثالث قد سعى إلى إقامة إصلاح شمل كافة المجالات لكن هذا يتطلب الكثير من الوقت، لأن الدولة العثمانية أنهكتها الحروب الخارجية والمصالح الأجنبية في المناطق التي تتواجد بها، وهذا ما أسهم في ضعفها، فأول عمل قام به سليم الثالث هو تشكيل مجلس استشاري سنة 1791، يتشكل من الأتراك والأجانب وذلك من أجل

¹ابراهيم حسنين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، سرت، ليبيا، 2007، ص ص 374- 377.

²عدنان العطار، المرجع السابق، ص 125.

إنجاز برنامجه الإصلاحية، وشرع في تبني نظام جديد يوازي النظام الغربي والذي يهدف بالدرجة الأولى إلى إصلاح الإنكشارية، ونظام التعليم الديني، وتنظيم الشؤون المالية.¹ أما على الصعيد السياسي فقد عين سفارات دائمة في العواصم الأوروبية الكبرى في كل من لندن وباريس فيينا، برلين...، حيث كان أول من استحدث نظام السفارات الدائمة في أوروبا، وهو أول من استخدم مفردات السياسة الغربية، وقد قام قبل توليه الحكم بربط علاقات مع فرنسا التي تدخلت في شؤون الدولة أثناء فترة حكمه، وذلك بعد إنشاء هاته السفارات، ففي نهاية هذا القرن نجد أن هذه العلاقات عادت بالإيجاب على الدول الأوروبية واعتبرتها الخطوة الأولى في التوغل.²

فبالرغم من فشل هاته الإصلاحات، التي كان لها الانعكاس لصالح الدول الأوروبية بعد التعرف على تفاصيل الإدارة العثمانية في إستنبول، إلا أنها فتحت الباب للسلطين العثمانيين أمام الإصلاح والتغيير وفق النهج الأوروبي، وذلك لإنقاذ الدولة من المخاطر الداخلية والخارجية، وانعاش مؤسساتها، فكان لإصلاحاته عدة تأثيرات في مختلف الجوانب بحيث أحدثت تحولات في المجتمع الدمشقي من ظهور عادات وتقاليد غربية وانتشار اللغة الفرنسية في أوساط المجتمع، وهذا ما أظهرته الأدبيات والكتابات.

عزل السلطان سليم الثالث في 21 ربيع الآخر 1222 الموافق لـ 28 حزيران 1807، وذلك لانقلاب الإنكشارية، وسُجن إلى أن توفي وهو في عمر 48 سنة³، وعمل محمود الثاني على إكمال ما قام به السلطان سليم الثالث.

03- فترة حكم أسرة آل العظم

برز الاختلاف بين الباحثين في أصل أسرة آل العظم، فمنهم من يرجعه إلى أتراك "قونية"، ومنهم من أرجعه إلى عرب من "معة نعمان" (بالقرب من حلب)¹، ظهرت هذه

¹ عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشأتهم حتى الآن، دار الهنداوي، القاهرة، 2014، ص 117، 119.

² ألكسندرو أنيئل فنادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات، واربينيات القرن التاسع عشر، تر: أنور محمد إبراهيم، مجلس الإعلام للثقافة، القاهرة، 2002، ص 14.

³ عدنان العطار، المرجع السابق، ص 388.

الأسرة في بدايات القرن الثامن عشر في سورية، وأرخ لها الكثير، ومثالا على ذلك ثريا بك في "السجل العثماني"، وجودت باشا في "تاريخه المطول"، ونعيما في "تاريخه العثماني"، وابن البرزنجي في كتابه "كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور سنة 1780، والسويدي البغدادي في "حديقة الوزراء" والبديري الحلاق الدمشقي في تاريخه "نخبة الفضلاء" والشيخ عبد الرحمان الفاسي المغربي "تاريخه المخطوط" والمرادي في "سلك الدرر"، وذكر الشيخ عبد الرحمان الفاسي المغربي في "تاريخه المخطوط"، فذكر فيه: "وإنما أصلهم عربان من بادية الشام"، ومما يرجح عربيتهم أنه لا أثر لهم في قونية وبين عشائر الترك حتى إنهم لا يعرفونهم وقيل انهم أتراك من الأناضول.²

فالقائلون بأن أسرة آل العظم بأنها تركية يقولون أن منشأها في آسيا الصغرى في ولاية قونية التركية، بينما يؤكد القائلون بعروبيتها أنها تنسب إلى عشيرة عريقة في المجد تسمى عشيرة بني عزم من عشائر البلقان في جزيرة العرب، ولقد ذكر الاستاذ محمد عزت دروزه نقلا عن "تاريخ الشام" للخوري مخايل بريك الدمشقي: "إن أول طائفة من أبناء العرب صاروا وزراء في بلادنا كانوا من آل العظم الذين أصلهم من معرة النعمان، وإن أول وزير منهم كان إسماعيل باشا"، ويضيف الأستاذ دروزة إلى ذلك قائلا: "فهذا الوصف الصادر عن شاهد معاصر مثقف، مهم في نظرنا لأنه لا يعقل أن يوصف به بنو العظم لو لم تكن عربيتهم أو على الأقل إصطباغهم بالصبغة العربية شائعا قبل بروزهم وولائتهم".³

وقد نشأ منهم في قونية إخوان باسلان، وهما قاسم بك العظم الملقب بابي كتف الذي لم يعقب، وشقيقه إبراهيم بك جد الأسرة العظمية الحاضرة في دمشق وعرة نعمان، فتسلسل منهم وزراء مهمون أربو على بضعة عشر وتولوا شؤون سورية وضواحيها وبر الأناضول.⁴ وقد أورد كذلك السيد أحمد محروقة في أطروحته المنشورة عام 1954 "لقد إمتاز هذا العصر الثاني عشر (هـ) والثامن عشر (م) بظهور أسرة بني العظم الشهيرة التي تعاقب

¹ أحمد البديري الحلاق، حوادث دمشق اليومية 1741، 1762، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، 1959، ص 33.

² عيسى اسكندر المعلوف، قصر آل العظم في دمشق، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص 10.

³ عبد القادر العظم، الأسرة العظمية، مطبعة الانشاء، دمشق، 1960، ص ص 08، 09.

⁴ عيسى اسكندر المعلوف، المرجع السابق، ص 10.

رجالها على الحكم مدة خمسين عام"، وحسب عمر عبد العزيز عمر، فإنها حكمت قرابة الستين عاما.¹

في منشأ هذه الأسرة إختلاف كبير بين أقوال المؤرخين، يرجع ذلك إلى أن البعض من أفراد هذه الأسرة استوطنوا في ظروف متفاوتة في مناطق مختلفة مما حدا ببعض المؤرخين أن يرجعوا الأصل لهذه الأسرة إلى البلد الذي كانوا يقيمون فيه، ويقول كذلك أحمد محروقة: "حين فتح سوريا، ولقبه شيخ القبيلة بني عزم، الذي اتخذها السلطان سليم محافظا لسوريا، ولقبه الآغا، ثم أخذ معه أولاده السبعة رهائن خشية أن يثور عليه ومنهم أصبحوا وزراء، مثل عبد الرحمان باشا، حسن باشا، وفارس باشا، ويوسف باشا و خليل باشا، إسماعيل باشا."، وكذلك حسبه أنهاطلع على مقال جامع لتاريخ الأسرة العظمية ولترجم البعض من مشاهير رجالاتها في العدد الخامس عشر من السنة الثانية لجريدة "فتى النيل" تحت عنوان "آل عظم في سوريا"، وقد جاء فيها عن تاريخ الأسرة وملخصه أنها من الأسر الكبيرة في القطر السوري العريقة في الحسب والنسب، التي يرجع تاريخها إلى عصور خلت، أسرة آل عظم المعروفة في جميع العالم الناطق بالضاد، وينحدر أبناؤها من باشوات ووزراء حكموا القطر السوري، وكان منهم أيضا الولاة، وأن هذه الأسرة لم يثبت لها مكان، إلا أنهم من بقاع واقعة بين المدينة المنورة ومعان شمالي جزيرة العرب.²

وسواء أكانوا أتراكا ام عربا، فقد أقام أكثرهم في بلاد الشام ومنهم من بنى المدارس وقرب العلماء والشعراء، وقدرت الدولة فعلا هذه الناحية فيهم فاستخدمتهم في الولايات السورية، حتى أتى زمن كان يشغل منصب الباشا في دمشق، في القرن الثامن عشر وتأليفهم قوة مجابهة للأطماع الانفصالية.³

¹ عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516/1922، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت.ن)، ص159.

² عبد القادر العظم، المرجع السابق، صص 10، 11.

³ أحمد البديري الحلاق، المرجع السابق، ص33.

توليهم الحكم:

قامت الدولة العثمانية بتعيين إسماعيل باشا العظم¹، الذي استطاع بأن يخل الأمن والاستقرار لدمشق، حيث دعا إلى التوافق والمصالحة بين العلماء والطرق الصوفية، وذلك باستدعائه الشيوخ من مناهم، بعدما حل بهم من الظلم، بقي إسماعيل باشا متمسكا بالسلطة حتى اختفى، وكان الأمر بعد عزل السلطان أحمد الثالث، الذي كان داعما لأسرة آل عظم، حيث تم الاستغناء عن جميع خدماتهم، والوظائف التي كانوا يشغلونها، ولكن لم يمر عام وأحد حتى عاد واستلم أحد أفراد هذه الأسرة السلطة في دمشق، حيث استلمها سليمان باشا العظم² أخو إسماعيل باشا، وبقي فيها لمدة خمسة سنوات، ومن المهام التي قام بها هي أبعاد الكثير من الإنكشارية ونفيهم خارج دمشق، وعين واليا على مصر، فزادت الأوضاع سوءا وعمت الفوضى، فرجع إلى دمشق إلى أنه توفي، بعدها تولى ابن أخيه إسماعيل الحكم ألا وهو أسعد باشا العظم³، الذي بنى أجمل صرحين بدمشق هما: خان أسعد باشا، وقصر أسعد باشا.

رغم العديد من المحاولات الإطاحة بهذه الأسرة إلى أنها باءت بالفشل، فتولى بعده الحكم عبد الله حتى توفي، وعادت أسرة آل عظم للحكم للمرة الثانية، وكان عثمان الصادق⁴ هو حاكم دمشق، مع إصرار الدولة العثمانية على حكم هذه الأسرة، نظرا للخطر الذي كان يحدق بها من طرف ظاهر العمر، الذي فاجأ الباب العالي بغزوه لدمشق

¹ حكم للمرة الأولى في المعرة، ثم انتقل إلى حماة وحمص، برتبة بكركي، اي امير الامراء، وولى ولاية طرابلس ثم انتقل منها إلى دمشق واقام فيها ست سنوات، ثم عزل، وحبس بقلعة دمشق، وصارت الدولة امواله، واموال ذويه، ثم أطلق سراحه وتولى الخانية. (ينظر: أحمد البديري الحلاق، المرجع السابق، ص40).

² أخو اسماعيل باشا، تولى باشوية صيدا ثم باشوية الشام، وأقام بها خمس سنوات، ثم نقل إلى مصر، بعدها عاد إلى دمشق، وأقام فيها ثلاث سنوات، حتى توفي محاصرا بقلعة طبرية للشيخ الزاهر العمر، وقيل مات مسموما. (ينظر: نفسه، ص40).

³ هو الوزير اسعد بن اسماعيل باشا ابن ابراهيم بك، الذي نشأ بقونية، حيث ولد اسعد باشا سنة 1701 بدمشق ودرس فيها، وكانت أولى ولايته حماة ثم انتقل إلى دمشق خلفا لعمه سليمان باشا، وبقي فيها لمدة عامين، وعند تعيينه في روسجق، تم قتله متوجها لها سنة 1757. (ينظر: عيسى اسكندر المعلوف، المرجع السابق، ص11).

⁴ عين واليا على دمشق في 1761 فشل في صد التحالف المصري الشامي بقيادة زاهر العمر، عزل من منصبه نظرا لضعفه في توليه للحكم سنة 1771. (ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ بلاد الشام الحديث والمعاصر، دار النفائس، بيروت، 2014، ص ص19، 20).

واستسلام عثمان له، فعزل واستبدل بمحمد باشا 1773، فحكم قرابة عشر سنوات، وكانت من أفضل سنوات حكم آل عظم، وبعد وفاته استلم إبراهيم الحكم 1786-1790، وخلفه أحمد باشا الجزار الذي يعد حكمه أسوأ مرحلة.¹

أسندت الدولة العثمانية لإسماعيل باشا العظم ولاية دمشق، نظرا لظروفها حيث اضطرت إلى الاستعانة بأفراد وطنيين لقيادة حكم المنطقة، فكانت في تلك الفترة تسود البلاد فوضى، بسبب الصراع بين الإنكشارية السلطانية (قابقول)، وبين الإنكشارية المحلية (يردلية).²

في مطلع القرن التاسع عشر كان عهدا حافظ أفراد هاته الأسرة على مكانتهم في المناصب الإدارية، وهذا ما جعلهم يسعون إلى طرق البحث في ترتيب أمورهم، فبتحيزهم على الحكم أصبح لهم عمل سوى الاستفادة من الحج، وجباية الضرائب، وتجارة الحبوب حيث كان عدد أفراد الأسرة ما بين 150 إلى 200 فردا بالرغم من شدة ترابطهم، ويرجع هذا التعداد إلى نظام زواج الأقارب، وانتشار الأسرة في كل من دمشق، حماة ومصر، ومن بعد تعدى قانون زواج الأقارب إلى غير الأقارب وذلك من خلال زواج ليلي وخديجة اللتان كانا زواجهما عن طريق المصاهرة السياسية.³

يمكن اعتبار آل العظم من أسرة الآغوات السلطانية وتمثل ذلك في اشتغالهم كذلك في قوات شبه عسكرية تمكنت عندما تقلد أبناؤها رتبة الباشوات من أن تعيد لدمشق ما كان لها من مركز قوة ودور محوري في المنطقة كلها.⁴

واستمر هذا التواجد إلى غاية القرن العشرين، وشغلوا مناصب سياسية عدة، ولم تكن أسرة آل العظم هي الأسرة الوحيدة التي حكمت دمشق، لذلك نجد منها أسرة آل التركماني⁵

¹ غدير أبو خليل، المرجع السابق، ص 43، 45.

² محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 19، 20.

³ ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص 169.

⁴ ليندا تشيلشر، نفسه، ص 42، 43.

⁵ برزوا في القرن الثامن عشر، وهم من أسرة الآغوات من الميدان، عمل أبناؤها في التجارة، بين إستنبول ومكة ودمشق، ومن الشخصيات المتواجدة فيها نجد محمد بك العظمة 1820/1904، الذي تربع على مناصب عدة من بينها كعضو في

آل الشمالي¹، آل البارودي²، آل شمدين³، آل المهائني⁴، آل يوسف⁵ وآل عابد⁶.
لقد اعتمد العثمانيون على الجزائر للتصدي للحملة الفرنسية سنة 1799 التي كانت
تواصل زحفها برا لسورية، وكان عبد الله العظم⁷ تحت إمرة الجزائر الذي نجح في التصدي
لها بمساعدة الأسطول البريطاني، وألقت فرنسا القبض على عبد الله أسيرا، إلا أنه عاد بعد
انسحاب الفرنسيين ليتولى دمشق ثانية سنة 1805، وكان هذا آخر عهد آل العظم بالحكم
إذ تم عزله حينما قصر عن بلوغ مكة بقافلة الحج سنة 1807، وكانت هذه الهزيمة من

المجلس الولاية ما بين 1860/1840، من بين الأعيان المنفيين بتهمة المشاركة في أعمال حوادث 1860 لكن بعدها وظف
في مناصب أخرى في فترة 1883/1874. (ينظر: ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص ص 168، 179).

¹نسبة إلى قبيلة شمر، من أكثر الأغوات الميدان سطوة في النصف الأول من القرن التاسع عشر أوكل العثمانيون إلأحدها
منصب أمير الحج ونائب الوالي في دمشق سنة 1834 منذ الثورة 1831 وهذا لتواجد التعاون ما بين هذه الأسرة وإبراهيم
باشا. (ينظر: نفسه، ص 180).

²نسبة إلى حسن أغا البارودي، الذي كان يرأس مصر 1798/1795 تم تعيينه من طرف عبد الله العظم نائبا له، وزعيما
للقوات شبه العسكرية (كتخدا) واستقر آل البارودي في دمشق. (ينظر: نفسه، ص ص 180، 181).

³كانت في البداية متواجدة في عكا، إلى ان استوطنت في دمشق تحت ظل شمدين أغا الذي يعتبر من أكثر زعماء القوات
شبه العسكرية، حافظ على ولاءه أثناء الحكم المصري لدمشق، وشاركوا في أعمال الشغب في 1860 لذلك تم تسريح
عناصرها ونفي البعض الآخر مثلا محمد سعيد الذي نفي إلى استنبول. (ينظر: نفسه، ص ص 181، 183).

⁴نسبة إلى قرية مهين، وبقيت هذه الأسرة إلى غاية القرن العشرين، تشغل مناصب سياسية عدة، ومنهم يوسف أغا
1870/1872 وحسن أغا 1874/1875 كما نجدهم قد حافظوا على عملهم الأساسي المتمثل في تجارة الحبوب، فنجد
اصطلاح لقب الافندي، والذي هو بدل الأغا، فهو لقب اقترن تقليديا بأعضاء المؤسسة العثمانية في دمشق. (ينظر: نفسه
ص ص 183، 184).

⁵وهم اكراد من ديار بكر، واستقرت الأسرة في دمشق، تقلدوا عدة مناصب فمنهم أحمد اغا يوسف كمتسلما في دمشق إلى
حين وصول باشا جديد لها، وكان هذا في فترة انسحاب الجيوش المصرية منها، كما تولى قيادة الحج، ونال لقب الباشا
والعديد من الممارسات السياسية، حيث كانت هذه الأسرة في تواصل مع أسرة آل العظم، وذلك نظرا للمصاهرة. (ينظر:
نفسه، ص ص 184، 186).

⁶ينحدرون من عشيرة الموالي، الذين ينتسبون إلى بكر بن وائل، ومن الشخصيات التي برزت في هذا البيت نجد عمر أغا
العابد، وتولوا بذلك العديد من المناصب السياسية في إطار التنظيمات. (ينظر: نفسه، ص ص 186، 187).

⁷هو ابن محمد باشا العظم الذي تولى ولاية حلب، 1793 ورأت الدلة ضعفه ازاء طغيان الجند الإنكشارية، فعزلته ثم ولاء
الصدر الاعظم يوسف باشا، أثناء تقدمه لقتال الفرنسيين في مصر والى دمشق، وكانت له الحروب مع أحمد باشا الجزائر
فبقي في دمشق إلى ان عزل منها. (ينظر: أحمد البديري الحلاق، المرجع السابق، ص 40).

تدبير آل سعود اتباع المذهب الوهابي، إذ يعتبرون من الجماعات التي ترفض التواجد العثماني، ومن بعد تولي نصوص باشا¹، انتهى حكم هذه الأسرة.²

04-فترة حكم الباشا أحمد الجزار

كان الجزار³ رجلاً جائراً، إذ أنه عندما يخطط لشيء ما يفعله، وحتى لو تطلب منه الأمر سفك الدماء، نجد أنه ذا حزم، ودهاء⁴، لقد قدم هذا الرجل من "بشناق" في إحدى الولايات العثمانية بمصر التي نشأ بها، وقيل أنه دعي بالجزائر نظراً لأعماله البربرية، ومما جاء عنه في تاريخ "نابليون بونابرت" 1799 يتمثل في: "وكان من قبل الدولة التركية، وإل على عكا يدعى أحمد باشا الجزار، وسمي بالجزائر نظمه الشنيع، وذبحه الأبرار، وذبح النعاج، ويعنون بلقبه الجزار بلقبه جزار الغنم صاحب المقصبة، نظمه وكثرة شروره، وقساوته حتى على عائلته التي ذبحها ذبح النعاج"، كما اتفقت المصادر حول أصل أحمد باشا، فقد اختلفت حول أصل لقبه، وقيل قد سمي بذلك، لأنه قتل بعض مشايخ العرب في مصر.⁵

بدأ حياته العملية في إسطنبول، فهناك حصل على ترقيات ونال رتبة الباكوية حينما تولى إدارة ولاية مصر، وبترقيته ظهرت بوادر تسعى إلى الحفاظ على بقاءه في أرض الشام لأنهم يبحثون عن يستعيد لهم هيبته التي افتقدوها نظراً للمرحلة التي يمرون بها في تلك الفترة، فكانوا ينظرون إلى الجزار رؤية الآمال التي تزيد من فرص هيمنتهم والسيطرة خاصة على مناطق الساحل السوري، كما كان الحال في الأسرة العظمية التي استطاعت بسياساتها

¹ أو ناصيف باشا هو ابن سعد الدين باشا، ولى هارباً من سورية إلى مصر، بعد وفاة أبيه، ودخل في خدمة مراد بك المملوكي الذي كانت له السيطرة آنذاك في مصر، حيث كانت علاقته مع الدولة العثمانية متردية. توفي 1809. (ينظر: أحمد البديري الحلاق، المرجع السابق، ص 41).

² ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص 168.

³ من مشاهير الولاة العثمانيين، ولد في البوسنة وذهب إلى مصر مع واليها علي باشا حكيم اوغلو واشترك في معارك عديدة اظهر فيها شجاعة نادرة ثم أصبح والي الشام وصيدا لمدة 30 عام تقريبا ولقب بالجزائر بعد مجزرة قام بها في مصر وراح ضحيتها نحو 70 ألفاً منهم، وخلال ولايته على الشام وصلت القوات الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت 1799 إلى عكا فحاصرها بمساعدة القوات الإنجليزية بعد حصار دام 64 يوماً، وتراجع على أثرها نابليون. (ينظر: عبد العزيز العظمة، المرجع السابق، ص 199).

⁴ عمر أبو نصر، المرجع السابق، ص 44، 55.

⁵ سهيل زكار، المرجع السابق، ص 68.

أن تكسب السكان لها ضمن قوانين تخدم الجميع، حيث تمكنوا من تهدئة الفوضى، ونشر الأمن والسلام في المنطقة التي كان يسودها الجور والاستبداد والظلم، فسار الجزائر على تنفيذ مهمته جراء هذه الترقية متوجها بحكمه نحو فلسطين، 1775-1804، من موقعه حاكما لصيدا، إلا أن الجزائر كانت له رؤى أخرى حين توليه المنصب فتقلد بعدها ولاية دمشق 1784-1785 و1790-1795 و1799-1803 على مراحل عدة.¹

وكان أحمد باشا الجزائرية كبيرة ذا مطامعورغبته في الاستلاء وتوسيع مناطق نفوذه، كما اتصف بشجاعته النادرة، فبمثل هكذا رجال كانت تحتاج إليهم الدولة من أجل التحكم في بسط نفوذها في المنطقة، فقد أرسلته الدولة العثمانية إلى مصر ليفتك بالأمرء المماليك، ويريحها من شرهم، حيث أقدم الجزائر على الاقتراب وكسب ود الأمرء وذلك للإطاحة بفريستته، فتوطن بمصر ونجح في أولى خطواته نحو الاستيلاء على الحكم حيث توصل بدهائه إلى جلب ثقة أسياده المماليك فأعجبوا بنشاطه وأحبوه، وهذا كان جزءا من خطته، ولكي ينفذها أقام وليمة على نفقته ودعا إليها جماعة من الأمرء المماليك وأجابوا دعوته، وكان ذلك اليوم هو آخر أيامهم، لأن المذكور صاحب الوليمة أكثر لضيوفه الخمر حتى فقدوا رشدهم، ثم قام بذبحهم الواحد بعد الآخر، إلى أن فتك بهم جميعا، وقد عرف بعد أن أقدم على هذا العمل الابتدائي أنه غير كاف لتحقيق أمانيه في إعادة مصر إلى الدولة ففر إلى سورية من وجه المماليك، وحول نيته الفاسدة عن المماليك إلى أمرء لبنان.²

وفي سنة 1799 جاءت حملة "نابليون بونابرت" لغزو مصر واحتلالها، وطبعا فقد جاء هذا الأمر نظرا لتردي أحوال الدولة العثمانية، والتي أصبحت تسمى بالرجل المريض ولأنها لا تقوى على صد أي هجوم وذلك لتمرد طبقة الإنكشارية، التي أصبحت لديهم فيما بعد طموحات لتولي سيادة الحكم، وتمردوا على السلاطين مما ولد لديها الانحطاط، وبقاءها مكتوفة الأيدي حول كل هجوم يترصدها، فحاول "نابليون بونابرت" في حملته الفرنسية على توسيع غزواته بالاتجاه نحو سوريا، لكن هذا المخطط باء بالفشل، لأنه لقي قوة رادعة له والتي تمثلت في باشا الجزائر، فنجح هذا الأخير بالتصدي له، وردع قواته.

¹ ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص 49.

² سهيل زكار، المرجع السابق، ص 69.

تقلد الجزائر أثناء فترة ولايته على دمشق 1784-1785 إمارة الحج، التي كانت تضمن التجارة، وتحقيق الأرباح الاقتصادية، مما جعل الأمر في صدام مباشر مع آغوات الأحياء الجنوبية الواقعة على طريق الحج، حيث أثارت محاولاته الأولى لاحتكار الفائض من حبوب حوران، وذلك بمقاومة شديدة في المدينة، والتي كانت من نتائجها عزله من منصبه في ولاية الشام، إلا أن إصراره الشديد على تولي إدارة دمشق، وكان ذلك بالفعل حيث عاد بين عامي 1790-1795 مبرزا تدخلاته الاقتصادية في العلاقات التجارية التي كانت بين آل العظم ومحاسبيهم من بدو الشمال في دمشق، إلا أنه لم يبق مكتوف الأيدي فإذا أخذنا بقول الإخباري، حيث قال أن علي بك العظم ابن محمد باشا، فقد قاضاه وكيل الجزائر في دمشق، مدعيا عليه بسرقة أملاك له، فلا نعلم إن كان الأمر صحيحا أم لا، لكن كان ما فعله الجزائر أن أرسل من يدس السم له فقتله، فلا ندري إن كان حقا الجزائر قد قام بسرقة أملاكه، أم أنه قتله لأنه عاجز أن يرجع له ذلك.¹

تقلد الجزائر منصبا في لبنان، حيث كان الغرض الدائم للجزار هو التقرب من الأمراء في لبنان، وذلك لأغراض ائيمة وهي الغدر بهم، وإشعال نار الفتنة بينهم وبين المشايخ وكان الأمراء في هذه الفترة يكثر من عدد الحاشية والأتباع، ويرحبون بكل من يعرض نفسه لخدمتهم، إلى أن أصبح الجزائر الاقرب إلى الأمير ونال الترقية بآغا، ووجه حاكما إلى بيروت، وبعدها على صيدا، وعين الأمير يوسف² واليا على لبنان، لأنه كان سببا في ارتقائه بالوظيفة في بداية مشواره، فقرر الجزائر بأن يوقع بالشيخ ظاهر العمر، الذي كان يملك ثروة طائلة، فأوقع به وذلك بإقامته للفتنة بينه وبين حسن باشا، وفي الأخير أدى هذا الصراع إلى قتلها، وتمكن الجزائر من الاستيلاء على عكا.³

إن الأفعال التي تبناها الجزائر و نظرا لتصرفاته، التي أزعجت الدولة العثمانية كثيرا فقبل ذلك كانت تأمل فيه لاسترجاع سيادتها، لكن هذه الآمال التي تحولت إلى الانتقام منه

¹ ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص 49.

² سهيل زكار، المرجع السابق، ص 74، 76.

³ محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 21.

ومحاولتها التخلص منه، وذلك عن طريق والي طرابلس خليل باشا عام 1792، لأن الأمر بعزله بات مستحيلاً، لكن للجزار جواسيس نقلوا له الخبر حول المكيدة التي تسعى لها الدولة العثمانية للقضاء عليه، فقام بقتل خليل باشا واستولى على أملاكه وما كان على الدولة العثمانية سوى تقبله في الحكم وغدا الجزائر يتولى الحكم بحسب ما تمليه عليه إرادته وتجاهله لكل الأوامر السلطانية التي حددت كمية الضرائب.¹

وهكذا سعى الجزائر إلى توسيع أطماعه بعد عجز العثمانيين الوقوف ضده، بالرغم من كل محاولاتهم التخلص منه، إلا أنه بقي في الحكم من دون رغبتهم في ذلك، ولكنهم في الأخير استسلموا له، وطبق نظامه على كل ولاية يتم تنصيبه عليها.

لقد اعتمد باشا الجزائر في حكمه على جنود المرتزقة الذين جمعهم من كل الأنحاء فلا ننسى أن المرتزقة كانت لهم طريق خاصة في التعامل، فكانت أسوأ الخصال تعشش فيهم، وبتواجدهم في بلاد الشام خلف ذلك فوضى ودمارا، لذلك فعاشت البلاد أسوأ أيامها في عهده، ومن مظاهر هذا التواجد:

- جمع المال بطريقة مشروعة أو غير مشروعة.
- إرهاب العباد بالضرائب الباهظة.
- الإسراف في إراقة الدماء.
- هجرة السكان نحو جبال لبنان أو حلب هرباً من بطشهم وظلمهم.²

كما قام الجزائر بالعديد من الجرائم، فبعد الحملة الفرنسية، قام على الحادثة التي تمثلت في قتل حريمه، حيث أمر بإيقاد نارا كبيرة في صحن الدار، وأتى بحريمه وأحدة تلو الأخرى، وكانت الحريم تساق له أفرادا، والجزار يقبض عليها من عنقها وي طرحها في النار على وجهها، ويدوس على ظهرها ويضغط على رأسها حتى يتم شيها وتلفظ روحها، وبعدها يؤتى بأخرى، وعلى هذه الصورة أعدم الجزائر سبعة وثلاثين امرأة، ولم تتج وأحدة من حريمه غير فتاة في الثامنة من عمرها.³

¹ محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 20.

² نفسه، ص 21.

³ سهيل زكار، المرجع السابق، ص 97.

وقبل وفاته بسنة تمكن من أن ينال من الباب العالي بشالك دمشق، وذلك بتكفله بأمر القافلة، فنجده حمل الحقد على سكان دمشقالذين رفضوه في بداية الحكم له، وقاموا بشكاية عليه إلى باب العالي، وأغلقوا بوابات المدينة في وجهه في أول مرة سنة 1784-1785 والثانية عام 1795-1797 مما جعل لديه الرغبة في الانتقام.¹

وكان هذا الأمر بالفعل، فقام بفرض على أهل دمشق غرامات كبيرة، وإرهاقه لهم ولقد جمع منهم الضرائب الباهظة، كما فرض عليهم شراء ألف رأس خيل، والجمال والاعنام، من البدو، كي يتمكن هؤلاء من دفع ما عليهم من ضرائب، وكان يمنحهم الفرصة لاستعادة مواشيهم، فلم يكن أهل دمشق فقط هم من حمل عليهم الحقد والانتقام، بل كذلك عاقب الشيعة في جبل عامل، لأنهم كانوا يتعاطفون مع الفرنسيين، فهرب مشايخهم إلى جبل لبنان، وانتقم من الأمير البشير الثاني الشهابي لوقوفه على حياد وعدم مساعدته، فعين أولاد الامير يوسف ضيا حكاما على الجبل، وتعسف في جمع الضرائب من القرى والمناطق المتاخمة لدمشق، ودخلت بلاد الشام في فوضى بفعل تصرفاته، ولم يجرء الوزير العثماني عثمان باشا قائد الشام على مواجهته.²

وكذلك من أعماله البالغة في القساوة والظلم، أنها حضر أصحاب الحرفوقام بذبحهم والإلقاء بهم طعاما للوحوش، والذي بلغ عددهم مائتين وثلاثين رجلا، فلم يعلم سببا لذلك وفي حادثة أخرى أن الجزار أمر بذبح 40 نفسا قادمين من مصر (أولاد عطية) نظرا لتزايد عدد المساجين الذين ألقى عليهم القبض، وذلك نظرا لظلمه وجوره في إرهاب الأنفس وإلقاء البعض الآخر في عرض البحر، وذلك لكي يكون عدد القيود كافيا لعدد المساجين.³

لقد عمل الجزار الكثير من الجرائم الشنيعة، وذلك نظرا لما احتوته نفسه من حقد وكرهورغبته في الاستيلاء وتوسيع مناطق نفوذه، فخاض العديد من المعارك مع الحكاممثيرا بذلك الفتن والقتل، وتولى العديد من المناصب نظرا لممارساته الشنيعة ضد النفوس البريئة فكانت الدولة العثمانية لا تعمل أية شيء سوى أنها التزمت الصمت، ومراقبة ما يفعله

¹ عمر أبو نصر، المرجع السابق، ص 88.

² محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 22.

³ سهيل زكار، المرجع السابق، ص ص 92، 93.

الجزار، لكن هذا الانتقام الموجود لدى الجزار لم يستمر وذلك لأنه قضى نحبه سنة 1804 وفي ذكر الشهابي أن الجزار قد توفي غي شهر محرم 1219هـ-29 نيسان 1805، عن عمر ناهز 84 عاما، لما انتشر خبر وفاته تهللت وجوه الشعب، وأفرج عن الذين كان غضبه يهددهم، وبعدها عين سليم باشا مكانه، الذي كانت محاولاته كلها فاشلة للإطاحة بالجزار والاستيلاء على حكمه.¹

ومع انسحاب الفرنسيين من مصر 1801، ووفاة الجزار 1804، وإرضاء لمصالح اللبنانيين والساحلية ودحر الوهابيين 1812، إلا أن التوغل الأوروبي قد أحكم سيطرته فاجتاح البلاد، عام 1813-1814، وأتى على ربع سكانها.²

المطلب الثاني: دمشق في عهد السلطان محمود الثاني 1808-1839.

بعد انتهاء فترة حكم السلطان سليم الثالث جاءت مرحلة انتقالية أخرى والتي شملت عهد السلطان محمود الثاني، فاختلفت طريقة حكمه عن سابقه، ولكن هذا لم يمنعه من إكمال المشاريع والمخططات التي سعي إليها السلطان سليم الثالث، وانطلاقا من هذا سنقوم بشرحه من خلال المطالب وما احتوته من معلومات حول هذه الفترة.

01- التعريف بشخصية محمود الثاني:

هو ابن السلطان عبد الحميد الأول³ ولد سنة 1199هـ/1785 بمدينة إستنبول⁴، عثمانى الأصل والدته "نكش دل"⁵، توفي والده عندما بلغ من العمر أربع سنوات، فعين واليا ثانيا للسلطان سليم الثالث، وعندما توفي أخوه مصطفى الرابع، بلغ محمود الثاني العمر العاشرة، وبهذا أصبح هو ولي العهد الوحيد، حمل السلطان محمود الثاني صفات شخصية

¹ سهيل زكار، المرجع السابق، ص 110.

² ليندا شيلشر، المرجع السابق، ص 53، 54.

³ هو ابن السلطان أحمد الثالث ولد سنة 1724 تولى الحكم بعد وفاة أخيه مصطفى الثالث، وكان محجوزا في قصره أثناء فترة حكم أخيه. (ينظر: محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ج 02، مكتبة الحسن العصرية، بيروت، 2010، ص 63).

⁴ إبراهيم أفندي، سر هزار، مصباح الساري ونزهة القاري، بيروت، 2014، ص 257.

⁵ صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، تر: منى جمال الدين، دار النيل، القاهرة، 2014، ص 274.

علمية سياسية، كانت قامته أقرب إلى الطولموزون الجسم، جميل ومستدير الوجه تقريبا
اسود اللحية، ذكي وقور فعال ذو عزم وصبر.¹

تلقى السلطان تعليما عاليا، وكان ذلك برعاية السلطان سليم الثالث الذي كان حريصا
على تعليمه، برع في المجال الموسيقي، ومثالا على ذلك النفخ على آلة الناي، كما تعلم
الآداب واللغة العربية والعقائد الإسلامية، وذلك بمراعاة اصول التعليم وتربية الأمراء وإبناء
السلطين، حيث كانوا يتلقون تعليما خاصا وحول كيفية الحكم، ومعرفتهم لأهم السلوكيات
التي يجب أن تتوفر لديهم.²

كان يتقن خمس لغات، ميالا للأدب وخاصة الشعر، فقد كان يكتبه ولكن تحت اسم
مستعار تمثل في "عدلي"، كما كان خطاطا، فبرع بالخط الثلث والنسخ والجلي، ومولويا
نقشيا.³

كان يتصف بحكمة ودهاء سياسي، اتصف بالحنكة في التسيير، فخلال تولي السلطان
سليم الثالث كان ينظر ويسجل بما يقوم به، وبهذا إستفاد كثيرا من الأخطاء، حمل العديد من
الألقابمن بينها "عدلي"، و"الباد شاه"، وكان يعتبر أعظم باد شاه، كما لقب بالغازي سنة
1813م/1228هـ، وهو علم من أعلام الإصلاح العثماني، لذلك وصف بأعظم السلطين
في تركيا الحديثة.⁴

قام بالعديد من الجولات السياحية 1831/1837-1245/1252، والتي كان الهدف
منها التقرب من رعاياه والاتصال المباشر بهم، ومحاولته تحسين أوضاعهم⁵، أولاده هم عبد
المجيد من زوجته السلطانة بزم عالم، وعبد العزيز من زوجته برتو نيفال، أما البنات فهن

¹ يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، تن: محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا
ص ص 644، 665.

² نفسه، ص ص 644، 665.

³ أحمد آق كوندوز، سعيد اوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية،
الوقف للبحوث العلمية، 2008، ص 383. (ينظر أيضا: يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص 644).

⁴ أحمد آق كوندوز، سعيد اوزتورك، المرجع السابق، ص 383.

⁵ يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص ص 664، 665.

صالحة سلطان، عطية سلطان، خديجة سلطان، وعادلة سلطان، وزوجاته الأخريات، هن: فاطمة سلطان، خوشيار سلطان، كريمة سلطان، وآشوب جان سلطان.¹

تولى محمود الثاني السلطة حين توجه "البير قدار باشا" 28 جويلية 1808 إلى السرايا السلطانية حيث طالب بإعادة السلطان سليم إلى الحكم، وعزل السلطان مصطفى الرابع، فما كان من هذا الأخير سوى القضاء على السلطان سليم، وأمر بإعدام أخيه محمود الأول حتى يصبح هو النسل الوحيد لآل عثمان ولا يجدون من يتولى الحكم من بعده، لكن هذه الخطة باءت بالفشل لأن الثائرين نجحوا في إنقاذ محمود الذي كان مختبئاً في إحدى زوايا القصر، ونادوا به حالاً سلطاناً وخليفة لدولة آل عثمان باسم محمود الثاني.²

بعدها تم سجن السلطان المخلوع مصطفى الرابع حتى يرى السلطان محمود الثاني ما يقضي في أمره³، وهكذا وفي ظل هذه الظروف تم تولية السلطان محمود الثاني سنة 1839 على عرش السلطنة وكان يبلغ السن الرابعة والعشرين من عمره⁴، وغرس في هذه التولية التفاؤل لدى الناس، آملين فيه في إعادة إحياء أمجاد الدولة العثمانية، والمحافظة على شرف آل عثمان⁵، وأول ما قام به هو تنصيب "مصطفى باشا لبيرقदार" وزيراً للصدارة، وسلمه المهام معتمداً عليه في رسم وتنظيم الجنود⁶، وتطبيق القصاص من قاتلي السلطان سليم الثالث، والقضاء على من يثير الفتن ومن يريد المساس بأمن الدولة العثمانية.⁷

قام بإنشاء العديد من المدارس، منها مدرسة الشريعة بمكة المكرمة، وشيد العمارات الحديثة، كما أولى العناية الخاصة بالمسجد النبوي الشريف، حيث أرسل الخبراء وعمال

¹ صالح كولن، المرجع السابق، ص ص 274-296.

² محمد ضياء الدين، تاريخ المشرق العربي وخلافة الدولة العثمانية، ج 01، مطلب ملتزمة مكتبة النهضة مصر بالقجالة، القاهرة، 1950، ص ص 176، 177.

³ شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تح: حسن السماحي سويداني، دار ابن الكثير، دمشق، ص ص 266، 267. ينظر أيضاً (محمد ضياء الدين، المرجع السابق، ص 177).

⁴ إبراهيم حسنين، المرجع السابق، ص 388.

⁵ إبراهيم أفندي، سر هزار، المرجع السابق، ص 257.

⁶ عزلتو يوسف بك، المرجع السابق، ص 116.

⁷ عمر أبو نصر، المرجع السابق، ص ص 86، 87.

البناء من مصر، ومواد البناء والمعدات من الأناضول، وقام برسم العبارات المحفورة بفن الخط العربي على قبة الرسول ﷺ.

في الفترة التي تولى فيها الحكم، كانت الظروف الإدارية على النحو الآتي:

- إنغماس كبار الموظفين في الفساد.
- انتشار الرشوة والاختلاس.
- بيع الوظائف في الولايات.
- سقوط المقاطعات والمناطق الإدارية الوحيدة تلو الأخرى بأيدي زعماء محليين.¹

كما شهدت في عهد العديد من الإصلاحات السياسية والإدارية، فكان أولها تشكيل حكومة بإحداث الوزارات والهيئات الخاصة بإعداد المشاريع، وإدخال التعليم في الإدارة بإنشاء مكتب الترجمة سنة 1833م/1249هـ وهو المسؤول أيضا على تدريب الإداريين وفي 1834/1250م قام بإعادة تأسيس السفارات العثمانية في العواصم الأوروبية الأساسية وبمساعدة جيشه أخضع الإيالات للسلطة المركزية للدولة، وتشكيل أجهزة إدارية لتنظيم الولايات وتحويل اسم الإيالة إلى ولاية مع ابقاء ادارتها للولاية، وجرى إقرار الرؤساء الملكيين في الأولوية والأفضية أيضا.²

02- قافلة الحج الشامي.

كانت بداية الاهتمام بقافلة الحج لدى العثمانيين منذ سيطرتهم على بلاد الشام، بعد معركة مرج دابق 922هـ/1516م، حيث اعتمدوا على موسم الحج كضرورة ومصدر رزق لولاية الشام وهذا بتسييرهم للقافلة، ومن أشهر الولاة سليمان باشا العظم، الذي كان حريصا فرض الأمن والاستقرار في ولاية الشام، فسار على نهجه العديد من الولاة الذين تولوا المنصب بعده.³

وتعتبر مدينة دمشق ذات أهمية كبيرة بالنسبة لقافلة الحج من خلال أنها:

¹ عمر أبو نصر، المرجع السابق، ص 86، 87.

² إكمال الدين، إحسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعادوي، ج 01، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستنبول، 1999، ص 316.

³ إبراهيم فاعور الشرعة، إيهاب محمد علي زاهير، "قافلة الحج الشامي وتدابير ولاية الشام ما بين عامي 1151هـ و1155هـ نماذج من وثائق متحف قابي سراي مصدرا"، المجلة الاردنية للتاريخ، مج 15، ع 01، 2021، ص 51.

- مركزا لقوافل الحج الآتية من آسيا والبلقان، (على غرار مصر التي كانت مركزا لقوافل الحج الآتية من إفريقيا).
- هي أقصر مسافة مؤدية من الشام إلى المدينة المنورة من جميع الأقطار الإسلامية الشاسعة إذ اعتبروها بابا للكعبة.
- مبادرة الدولة العثمانية في جعل التنقل مريحا في تسهيل وتنظيم الحج وزودوا الطرق بالخانات، الجسور، الأماكن للسقاية والحصون وكل ما يلزم لخدمة هؤلاء الحجيج. وقد بلغ عدد الحجاج في دمشق من 20000 إلى 30000 حاجا، بينما في مصر من 30000 إلى 40000 حاجا.
- سأهم موقع دمشق في تعزيز فكرة الأخذ والعطاء، فقد عبرت القوافل التجارية من دمشق إلى حلب شمال سوريا، وهذا ما ساهم في ازدهار المدينة حتى سميت بشام_جنات ما شام، أي دمشق مليئة بعبق الجنة وهذا بعد تطورها.¹
- كانت التجارة تلعب دورا كبيرا في ازدهار المنطقة، فكان الحجاج يحملون معهم بضائعهم من بلادهم وقيميون الأسواق في بعض المحطات، وتتنوعت المون التي كانت تزودها قافلة الحج من: الفول، الأرز، القطران، الحبال، الفحم، المعبوك...، حيث خصصت لهم الدولة العثمانية أعطيات عرفت بالصرة، ونظرا لهذا التنظيم قلت الاعتداءات من القبائل على القوافل، وتؤكد الدراسات ووثائق "طوب قابي سراي" هو حرص ولاية الشام على تأمين نقل الحجاج، لذلك خصصت مبالغ لاقتناء أو شراء الجمال وصرف العلائف، وتأمين الماء للحجاج²، ومسار هذه القافلة كان حلب، حماة، حمص ودمشق.³
- أما الموظفون الذين كلفوا بتجهيز القافلة هم:
- الحراس من العساكر العثمانيين، ومهمتهم حراسة القافلة، والإشراف على نقل الأحمال بين القلاع.

¹أماني خليل الرحال، طريق الحج وعمائره الخدمية في سورية في الفترة العثمانية (دراسة تاريخية ومقارنة)، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية قسم تاريخ ونظريات العمارة، جامعة دمشق، دمشق، 2015، ص70.

² إبراهيم فاعور الشرعة، إيهاب محمد علي زاهر، المرجع السابق، ص51.

³أماني خليل رحال، المرجع السابق، ص82.

- الدلالون، ومهمتهم ضرورية، وتزداد أهميتها عند وصول قافلة الحج لأطراف منطقة الحجاز، إذ يؤدي مهام إرشاد المسافرين وتوجيههم.
 - موظفو مفتاح المدينة، وهم موظفون ذو صبغة عسكرية لهم دور كبير في تنظيم حركة نقل السلع قبيل انطلاق قافلة الحج وتسليم الأموال.
 - التختروان، وهو موظف تركي يعمل في القلاع ومهمته استلام الأعمال القادمة من دمشق ومنها أسرة (التخت).
 - مؤجرو الدواب، وكانوا نشطين في موسم الحج وأغلب العاملين فيها التجار الصغار، أما ملاكو الجمال والخيول الكبار، فكانت علاقتهم مباشرة مع والي الشام.
 - اورقلمي جوفدار، وهي من الوظائف العسكرية في القلاع، وتقع على أفرادها مسؤولية تسليم الأموال وحفظها.
 - الذردار، وهو محافظ القلعة أوقاندها.
 - العكام، والسقاي، وهم العمال في المدينة المنورة ومكة المكرمة، يعملون على توفير الماء والنقل.¹
 - المبشر بسلامة الحج، هو الذي يقوم بتبشير القافلة بالعودة إلى دمشق.²
- إن طريق الحجاج بين شمال سوريا وجنوبها هو الطريق التجاري العادي، لذلك فبعد أن تغادر قافلة الحج الحلبي أراضي حلب، تنطلق نحو حماة فحمص وصولاً إلى دمشق مركز التجمع باتجاه الديار المقدسة، في الأسبوع الأخير من شعبان يبدأ التوارد للحجاج البعيدين إلى دمشق وتمتلئ المدينة شيئاً فشيئاً بالحجاج طول شهر رمضان، وخاصة في منتصفه والأسبوع الثالث منه. أما بخصوص الطقوس التي ترافق استعداد للحج في دمشق هي: الدورة³، يوم الزيت¹، ويوم الشمع وماء الورد والملبس²، يوم دورة الصنجد⁴³، وغيرها من المراسيم الأخرى الموسومة لأجل قافلة الحج. (ينظر إلى الملحق رقم: 05)

¹ إبراهيم فاعور الشرعة، إيهاب محمد علي زاهر، المرجع السابق، ص 52.

² أماني خليل الرحال، المرجع السابق، ص 79.

³ هي جولة تفتيشية يقوم بها الباشا وبعض جنوده في جهات نابلس وعلجون، من أجل تأهب الباشا للخروج للحج قبل حلول موسمه بنحو ثلاثة أشهر، وقد جرت العادة بان يخرج الباشا للدولة في أواخر رجب أو أوائل شعبان، ثم يعود إلى دمشق في أوائل شوال. (ينظر: أحمد البديري الحلاق، المرجع السابق، ص 66، 67).

02.01. مسار الحج في دمشق:

وصف لنا ابن طولون في مفاكهة الخلان، مسار قافلة الحج في يومياتهم فقال: "كان يوم طلوع الركب يوما مشهودا في دمشق، ويكون بين اليوم الخامس والسادس عشر من شوال، ويخرج فيه موكب الحج مع محمل والصنق بطرازهما الموشى، البديع المزركش بالقصب المذهب باحتفال مهيب من باب المشيرية فيخرج هذا الموكب من باب المشيرية (السراي)، الواقع في مبتدأ سوق الدرويشية الممتد من اتجاه باب القلعة نحو باب الجابية،... إلى باب مصر المعروف بباب الله، كونه يؤدي إلى مكة المكرمة، وكان سوق الدرويشية سوقا عامرا بالحوانيت مختلفة الصفات والجوامع، والحمامات، والمقاهي،... ونظرا لاتساع عرضه فقد كان مغروسا بطرفيه أشجار... ويوم مرور الركب بسوق الدرويشية والأسواق المتصلة به..، سوق سنان باشا، سوق النحاتين، سوق الغنم، وسوق باب المصلى، والسوق الميداني، إلى باب الله، ولدى وصول الموكب إلى المصطبة ضريح الشيخ الجباوي مؤسس الطريقة السعدية، ويتوقف الركب للأكل، الاستجمام، الراحة،... وآخر قافلة الحج بدمشق هو العسالي، يمكنون فيه يوما أو أكثر ثم يتجهون إلى المزيريب ثم الدلي ويصلون إلى الكسوة"

¹ هو موكب الذي يتوجه بالوالي أو رئيس البلاد إلى الجامع الأموي، لأداء صلاة العيد، وتبدأ المراسيم بيوم الزيت الذي كان يرسل كل سنة إلى الحرمين الشريفين وهو مرتب على قرية كفر سوسة (تقع غربي مدينة دمشق للقلعة) فيجلب ذلك الزيت في أوعية خاصة وتوضع في صناديق من الخشب محمولة على ظهر الإبل، ويتجه الموكب إلى حي باب السريجة، ثم باب الجابية ثم إلى السوق الدرويشية إلى المشيرة حتى يأتون إلى مركز الكلار المخصص صبادوات وعائدات الحج غي منطقة السنجدار ويكون ثاني أيام العيد الفطر. (ينظر: منير كيال، محمل الحج الشامي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2006، ص107، ص108).

² هو ثالث من أيام عيد الفطر وهو شمع الحرمين الذي كان يرسل من دمشق كل عام ويحفظ ذلك الشمع في الكلار، اما ماء الورد، فيتم إستخراجه من الزهر، وذلك لكثرة الورد والزهور (ينظر: نفسه، ص109).

³ ويكون يوم الرابع للعيد، وهو علم النبي ﷺ، انتقل من الأمويين، إلى العباسيين والفاطميين والمماليك إلى الدولة العثمانية في دمشق لدى السلطان سليم الأول، حيث يمك به موظف خاص، ويخرج بعد صلاة الظهر من باب القلعة المعروف بباب البوابجية، إلى سوق السروجية ثم إلى المشيرية (السراي)، فيستقبله والي دمشق أو من في حكمه، ثم يوضع الصنق في المشيرية إلى يوم خروج القافلة إلى الديار المقدسة بالحجاز. (ينظر: نفسه، ص ص110، 111).

⁴ أماني خليل الرحال، المرجع السابق، ص48.

أما خارج دمشق أي من دمشق إلى مكة، فتتمثل في الكسوة إلى خان نو النون (دنون) وهو نهر جاري، ثم بإتجاه الصنمين إلى المزيريب وصولاً إلى درعا، وهكذا يغادر الموكب طريق الحجالأراضي السورية ويدخل الأراضي الأردنية ويعبرها مدينة تلو الأخرى، حتى يصل إلى مكة المكرمة.¹ (ينظر إلى الملحق رقم: 06)

03- الواقعة الخيرية 1826

مع بداية الإصلاحات قام السلطان محمود الثاني بتعيين "رشيد مصطفى باشا" في منصب الصدارة العظمى وعهد إليه أمر تنظيم الإنكشارية، وإجبارهم على إتباع النمط الجديد وعين مناصب أخرى كان يهدف من خلالها في الحفاظ على هيئة الدولة، والإصلاح العسكري لجيش الإنكشارية الذي تمرد كثيرا في تصرفاته التي تهدد بسقوط العثمانيين.² قام باستدعاء الأعيان، وشرع في إقناعهم بأن الدولة لازالت تقود حروب وخاصة مع روسيا، لذلك أول ما قام به هو إصلاح الجيش الذي كان المشروع الأول الذي هدف إليه السلطان سليم الثالث باسم ساكبان جديد، ففي سنة 1808 قام باستدعاء عبدالرحمان باشا من قونية إلى إستنبول لكي يتأسس النظام الجديد للجيش والاحتباس من فتن الإنكشارية.³ وقد علم بأن "محمد علي" استخدم النظام الغربي الجديد في حروبه، فرأى السلطان أنه لا بد من السير على النمط الغربي، بعد محاولات عدة في إقناع الجيش لكنه رفض واستلزم الأمر حتى يكون نظاما جديدا الطلب من محمد مظهر باشا الصدر الأعظم أن يدعو لاجتماع في 27 ماي 1826 وألزم حضوره كل من قادة أسلحة الجيش بما فيهم كبار ضباط فيالق الإنكشارية ورجال الفتوى، وشيخ الإسلام وكبار الموظفين والأعيان وهذا لدراسة وضع الجيش الإنكشاري المتدهور وخروجه عن الطاعة، وتدخله في الشؤون السياسية، فقد تجاوز بذلك الحدود، كما أنه يعد سبب ضعف الدولة العثمانية.⁴

¹ أماني الرحال، المرجع السابق، ص ص52-56.

² محمد البجراوي، "حركة الإصلاح العثماني في عصر محمود الثاني"، مجلة الاجتهاد، ع45، 46، بيروت، 2000، ص ص412، 413.

³ خلف بن ديلان خضر الودينالي، الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام 1909، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي تحت إشراف عبد اللطيف عبد الله بن دهيش، جامعة أم القرى، مكة 1990، ص ص268، 269.

⁴ عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص545.

وصدرت بذلك فتوى حول تحديث النظام للفرق الإنكشارية، وهذا يدخل في إطار الخطط التي اريد بها القضاء على الإنكشارية التي لم تكن بالصدفة ولكن كان ذلك وفق استراتيجية اتبعها السلطان محمود الثاني للإطاحة بهم منذ اعتلائه العرش، متمما بذلك ما وضعه سليم الثالث، هذا من جهة ولاستغلال وضع الدولة العثمانية مما أكسبه ذلك تأييد الأطراف التي يهدف من خلالها للإصلاح.¹

كان وضع العدو الأوروبي الذي يمتلك العديد من المعدات المتطورة كفيل بأن يهزم الجيش الإنكشاري ذا الطابع التقليدي القديم، ففكرة السلطان قد أقنعت الكثير، وأصدر شيخ الإسلام فتوى تدعو بضرورة التقيد بالتعديلات ومعاقبة كل من اعترضها، وفي 28 ماي 1826 تم صدور خط شريف يقضي بإنشاء جيش جديد تحت إطار النظام الغربي، لكن الإنكشارية بعد عشرة أيام تعدوا على النظام الجديد²، وبدأوا بإثارة الفتن والفوضى وقاموا بأعمال التخريب في استنبول، واصبحوا يضرمون النار في بيوتها، ويقتحمون المنازل، ومن أعمالهم هذه سنحت للسلطان محمود الثاني فرصة في القضاء عليهم³، مستخدما أسلحة متطورة من المدفعية والقذائف على تكتات الإنكشارية، وعند حلول المساء لم يبقى فيها شيء اسمه صنف الإنكشارية، حيث قتل 6000 إنكشاريا، بالإضافة إلى اعتقال ونفي 20000 منهم، وإلغاء الموسيقى التي تعبر عن الإنكشارية، لذا فقد سميت الحادثة بالواقعة الخيرية أو الحدث السعيد، وهكذا انتهى الإنكشاريون الذين قادوا الجيش مدة 465 عاما.⁴

فالملاحظ أن الإنكشارية قد شكلت عائقا أمام الإصلاحات، ومن بين القواعد التي صدرت هي:

- إجبار الإنكشارية بملازمة تكتاتهم في أوقات السلم وخاصة غير المتزوجين منهم.
- ضرورة مواظبتهم على حضور التدريبات العسكرية.

¹ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ص267-269.

² عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص ص545-548.

³ يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص 677.

⁴ نفسه، ص 241.

- تسليحهم بأسلحة حديثة وتمرينهم على الأسس العسكرية المطبقة على الجيوش الأوروبية.
 - وقف عادة بيع المناصب.
- وبعد إن تم القضاء عليهم أصدر فرمانا في اليوم الموالي بإلغاء الإنكشارية وفرقها وانظمتها في جميع الولايات بما فيها دمشق، وحلت محلها تنظيمات جديدة تحت اسم العساكر المحمدية المنصورة، وهذا الاسم يعتبر ذا طابع إسلامي لإحياء الأمل في وسط الأهالي، كما لغت الدولة العثمانية جماعة البكتاشية المحاذية للإنكشارية، وكان عملها هو إثارة الشكوك والفتن لدى الأهالي الذين يقطنون الولايات.¹
- محمود الثاني الإصلاحات وسعى من أجل تثبيت وتكوين نظام جديد للجيش ما بين الإيالات والسلطة المركزية المتمثلة في إستنبول، وقام بتقسيم الجيش الجديد إلى سبع دوائر عسكرية وهي:
- الجيش الهمايوني الأول مقره الدائرة العسكرية الأولى في العاصمة إستنبول ويتوزع في الولايات قسطنوني، أنقرة وبورصة.
 - الجيش الهمايوني الثاني مقره الدائرة العسكرية الثانية في مدينة أدرنة وينتشر في إقليم الروملي.
 - الجيش الهمايوني الثالث مقره الدائرة العسكرية الثالثة في مدينة سيلانيك وينتشر في البحر الإدرياتيك واليونان.²
 - الجيش الهمايوني الرابع مقره الدائرة العسكرية الرابعة في مدينة أذربيجان وينتشر في الأناضول.

¹ روبري مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص56

² صبرينة ساعد، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة العربية، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014 ص ص14، 15.

- الجيش الهمايوني الخامس مقره الدائرة العسكرية الخامسة في مدينة دمشق وينتشر في الولايات الشام، حلب، دمشق، بيروت، ومنتصرفيتي القدس ودير الزور وقد عرف هذا الجيش بجيش عربستان، أي الجيش العربي.
- الجيش الهمايوني السادس مقره الدائرة العسكرية السادسة في إيالة بغداد وينتشر في ايالات العراق، موصل، بغداد، البصرة.¹
- الجيش الهمايوني السابع مقره الدائرة العسكرية السابعة في إيالة اليمن. وأدخلت العديد من المنشآت الحديثة في الجهاز العسكري، مما أصلح البحرية، حتى أنهم لبسوا نفس اللباس الأوروبي وكان هذا التقليد تقليداً أعمى بكافة وسائله.² (ينظر إلى الملحق رقم: 04)

04- ثورة 1831

في ربيع 1831 حاول الوالي العثماني في دمشق "عبد الرؤوف باشا" فرض ضريبة عرفت بين الناس بضريبة الصليان، وهي ضريبة شخصية سنوية فرضت على المسلمين حيث قاموا بمعارضتها، ما أورده الإخباري الدمشقي من حوادث التي تلت صدور هذه الضريبة، حيث كانت معارضة اهل المدينة عبارة عن إغلاق الأسواق وتجمهر الناس في باب الجابية بالقرب من السرايا، فقام الوالي بإرسال جنوده لتفريق هذه الجموع، فأطلقوا النار على الأهالي وسقط نحو 20 قتيلاً، ولم يهدأ بال الدمشقيين حتى ردوها لهم في اليوم الموالي، ولم تهدأ المدينة بالرغم من سعي الوالي لإسترضاء الدمشقيين بإلغائها، حتى عادت الأسواق تفتح من جديد، ولكن قتل الجنود العثمانيين مازال مستمرا إلى أن جاء موعد الحج، تم سحب عدد كبير من الجنود من المدينة لمرافقة محمل الحج، وتهيأ "رؤوف باشا" لأداء مناسك الحج، وهدأ الوضع إلى أن عاد الوالي إلى دمشق، وعندما علمت الدولة العثمانية بفشله على فرض الضريبة قامت بعزله وتعيين مكانه "سليم باشا"، الذي قام أثناء توليه الحكم بتعيين أحد الدمشقيين من زعماء القوات المحلية الشبه عسكرية "محمد آغا شرجي الداراني"

¹صبرينة ساعد، المرجع السابق، ص ص14، 15

²محمد الجراوي، المرجع السابق، ص413.

لكن سكان دمشق ظلوا متوجسين خيفة من نواياه، وتعرض شرجي الداراني إلى محاولة إغتيالبايعاز من آغا القلعة العثماني.¹

يعتبر سليم من الولاة الذين تولوا إدارة دمشق، بعد الخليفة مصطفى باشا، وكان يترصد لها منذ أن كان أحمد الجزار يتولاها، لكن محاولاته باءت بالفشل إلى أن تمكن من الدخول لها سنة 1831، وحين تولاهما قام بمجموعة من الإجراءاتمن بينها أنه قام على رأس قوة عسكرية كبيرة قوامها خمسة آلاف رجلا وفرض ضرائب جديدة قدرت بنحو ألفي كيس من العقار، فعاد الإضراب مجددا، واعتبر المبلغ جسيما وكانت ردة فعل الأهالي رفض مطالب الوزيروأبدوا العصيان، وقّر الرأي على شدة وطأتها ولزوم إزالتها، فتعسر الحاكم وأرغم الشعب على قبولها.²

لقد قام سليم باشا باستدعاء أعيان البلد وأمرهم بأن يعقدوا اجتماعا عاما في دار المفتي وأن يأخذوا على أنفسهم عهدا بالالتزام بها، فتظاهروا أمامه على الموافقة بالضريبة، لأنهم كانوا يدبرون لأمر آخر، وقبل ذهابهم إلى دار المفتي اجتمع حشد كبير من الأهالي الدمشقيين في بستان بإحدى ضواحي المدينة، شكل الأعيان آغوات فيما بينهم مطلقين شعارات جريئة عن تضامن بعضهم البعض، أقسموا أن لا يتم تحصيل الضريبة ما داموا متحدين، واتجهوا بعدها إلى دار المفتي وتظاهروا بقبول الضرائب حتى بدأ سليم باشا بتكلف كاتبه بتدوين ما يترتب على كل حي من العائدات، وأخذ ينتقل من حي إلى آخر وأنجز مهمته في كل من حي الميدان وباب السريجة والقنوات.³

لكن ما إن حل المساء حتى هجم الأهالي واضطر إلى الهروب ولكنه لم يفلت، أرسل سليم باشا عرضا بالمصالحة إلى أهالي القنوات في محاولة منه التفريق بينهموخرق اتحادهم، فقبل حي القنوات بذلك وأرسل سليم باشا جنوده إلى سكان القنوات لتجريدتهم من الأسلحة، ومن هنا اندلع القتال مجددا، وسرعان ما سرت أخبار هذه التطورات من القنوات إلى ميدان الشاغور، حتى عمت المدينة كلها وأصبحت سلامة المسؤولين العثمانيين مهددة ولم يعد

¹ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص ص54، 55.

²سهيل زكار، المرجع السابق، ص ص156، 157.

³ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص ص55-57.

بوسع الجنود الدفاع عن السرايا فهرب السلطان سليم وبعض جنوده، أما النصف الآخر تم قتله، دام تمرد الدمشقيين أربعين يوماً، قام "آغا شربجي الداراني" بدعم الثوار إلى أن تم هزيمة الوالي سليم باشا، ترك "شربجي الداراني" الحكومة وانضم إلى أبي عربي الشمالي وهو أحد الآغاوات البارزين في الميدان، فأصبح طريدا للعدالة العثمانية، فهرب من المدينة ولجأ إلى عكا.¹

ولأن هذا أرهق كاهل الدمشقيين ومطلب غير عقلاني ثاروا على الوزير وأرغموه بالالتجاء إلى القلعة وقطعوا عنه الزاد أياما، وسلم إليهم نفسه في آخرها فسجنوه بغرفة، وبعد أيام أوجسوا فيه ريبة لئلا يتآمر على زعمائهم سرفهجموا عليه يريدون قتله حرقا، وظلوا يراقبون النار تأكل فريسته إلى النهاية، وهذا نظرا لممارسته الظلم وليس حقا عليه شخصيا.² استأنفت المدينة نشاطها المعتاد وظل سليم باشا في دار آل العظم ثم نقل إلى دار الكيلاني، وقام الدمشقيون بقتل أي مسؤول عثماني، وحكم دمشق ثوار محليون، وتولى القلعة اثنان من آغاوات دمشق، هما علي آغا عرمان وأبو جليل آغا دقاق الميداني ومعهما 200 رجلا.³

رغم تعيين عثماني هو علي باشا (علوش باشا) نائبا للوالي أو مستلما في دمشق إلا أنه وصل إلى المدينة ومعه قوة ضعيفة من الجنود، وعقد صلحا مع الثوار، بينما كانوا يحكمون من مقرهم الذي انتقلوا إليه، ألا وهو دار أحد أعيان المدينة، وقد شكل علي باشا مجلسا يتكون من مفتي المدينة، وآغاوات الميدان البارزين مثل محمد علي آغا شربجي الداراني، وابن أخيه خليل آغا، وبعد ذلك انقطع علي باشا للعبادة، والصلاة ولم يحمل نفسه التدخل في أعمال الثوار.⁴

¹ ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص 57، 58.

² سهيل زكار، المرجع السابق، ص 156.

³ ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص 55-57.

⁴ نفسه، ص 57، 58.

05- الحكم المصري في دمشق 1831-1839

مرت الدولة العثمانية بأزمة عسكرية في النظام الجديد للجيش بعد القضاء على الإنكشارية، وهذا بعد خوضها معارك وحروب مع اليونان، فهي منهكة تماما، فكان جيش محمد علي باشا الحاكم المصري المكون والمجهز متفوقا على الجيش العثماني، الذي رغب أن يقود معارك توسعية، فحين أدرك الحاكم محمد علي باشا ذلك قرر إعلان الحرب على الدولة العثمانية والتي تعتبر في مرحلة ضعفها، نشب خلاف بينه وبين السلطان محمود الثاني الذي رفض سياسة محمد علي التي رغب من خلالها التوسع وضم مناطق له، وذلك بتوجيه حملة لضم الشام إلى مملكته.¹

ومن الأسباب التي ادت إلى هذه الحملة نذكر:

- السيطرة على موارد سوريا الاقتصادية وقطع السبل أمام بريطانيا الراغبة في ضم مناطق لها.
- تمتعها بموقع استراتيجي هام لأن السيطرة عليها يحمي مصر من أي خطر أجنبي يترصد لها.
- وعود السلطان محمود الثاني بمنح محمد علي بلاد الشام كمكافأة له بعد حرب اليونان.

فكان محمد علي² في بادئ الأمر يريد أن يستولي على سوريا عن طريق وسائل سلمية فطلب من السلطان محمود الثاني بأن يفي بوعوده ومكافأته بولاية سوريا بعد حرب اليونان طبعاً، فخلف السلطان بوعوده، فقام محمد علي بتقديم عرض للدولة العثمانية وهو تقديم جزية

¹هدى بلال، "الصراع العثماني المصري في بلاد الشام والموقف الدولي منه 1830، 1841"، مجلة كلية التربية الإسلامية، ع04، مج10، جامعة الموصل، 2011، ص344.

²ولد محمد علي سنة1769بمدينة قولة، وقد تركه أبوه إبراهيم آغا وهو في الرابعة من عمره لما بلغ أشده التحق بالجهادية ثم إشتغل بالتجارة سنة 1801وقد قرر الباب العالي وقتئذ إرسال حملة تركية لطرد الفرنسيين من مصر بمساعدة إنجلترا (ينظر: محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926، ص32).

سنوية مقابل أن يضم الشام لحكمه، فرفض السلطان محمود الثاني ذلك¹، وهذا ما زاد من توتر العلاقات بينهما.²

وجد أيضا أنه كان يجبر الفلاحين المصريين على العمل في الأرض، وتأدية الخدمة العسكرية، ونظرا لمعاملتها اضطرت بعض العائلات للهجرة نحو سوريا، ولما طلب منه محمد علي بإعادتهم رفض بحجة حقهم في الحرية والانتقال من مقاطعة إلى أخرى، واتخذها محمد علي باشا ذريعة من أجل دخول أراضي الشام.³

كان للحاكم المصري أطماعا في بلاد الشام منذ بداية 1810، وما أخره على الاستيلاء عليها هو الحروب مع الوهابيين⁴، والحرب اليونانية مما جعلته يؤجل لذلك حتى تهدأ الأمور وتطبيق بعدها ما يجب فعله، لأنه اعتبر الوقت غير مناسب لذلك.

ونظرا لهذه الظروف ورغبة الدول الأوروبية في الاستيلاء على بلاد الشام، ومنطقة المشرق على العموم، وأن خطوة محمد علي في امتلاك الشام هي خطوة جريئة نوعا ما، لان في غالب الأحوال ستتدخل الدول الأوروبية التي كانت لها رؤى حول بلاد الشام إذا خاض معركة ضد الدولة العثمانية، ولكنه استطاع أن يكسب التأييد، ففرنسا حاولت إغرائه بالتوجه نحو المغرب بدلا من الشام، وفي نظره قبل الأقدام على الخطوة، فتلقى وهذا الأمر أغضب الدولة العثمانية كثيرا، بحيث أن إبراهيم باشا يخضع لسلطة والده، وتمرد على الدولة العثمانية، مما شكل ذلك تهديدا لها وغضباً من الدولة العثمانية والدول الأوروبية، أما بريطانيا فقد رفض، واعتبرت أن هذا سيزيد من النفوذ الفرنسي في المنطقة، من هنا أدرك محمد علي

¹ هدى بلال، المرجع السابق، ص 343.

² عمر الإسكندري، سليم حسن، تاريخ مصر في الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، القاهرة، 1997، ص 172.

³ محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 157.

⁴ نسبة إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب (1703، 1792) وهي حركة ظهرت في شبه الجزيرة العربية من مبادئها التوحيد، الذي حسب مؤسسها تعرضت للكثير من التشويه والانحراف بسبب المفاهيم الفكرية لبعض الحركات الهدامة التي مزجتها مع العقيدة وراح يحارب كل البدع والخرافات ودعا إلى العودة إلى الإسلام الأول السلفي، وشكك في الشرعية الدينية للسلطان العثماني باعتباره خليفة للمسلمين. (ينظر: ليلي صباغ، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق، 1982، ص 143).

أن زحفه على بلاد ستكون له عراقيل عدة، لأن كل الأطراف تبحث عن مصالحها وباختلاف المصالح يؤدي ذلك بتوليد المشاكل بين الأطراف المتنازعة.¹

انطلقت الحملة من مصر في 02 نوفمبر 1831 إلى بلاد الشام عن طريق البر والبحر، بقيادة ابنه إبراهيم باشا، وكانت ردة فعل محمود الثاني إصدار فرمان سلطان يذكر فيه خيانة محمد علي باشا وابنه، وعلى أثره أرسل حملة بقيادة حسين باشا الذي تلقى أول هزيمة في معركة حمص سنة 1832، وتمكن إبراهيم باشا² من السيطرة على مدينة حلب وحماة، وتمكن أسطوله من أن يتمركز في المدن الساحلية في بلاد الشام، وزحف الجيش المصري كذلك نحو فلسطين في 24 من تشرين الأول، وسيطر على مدنها وقام بمحاصرة مدينة عكا في 26 من الشهر نفسه، وانخرطت في هذا الجيش قوات الأمير الشهابي، مما زاد من قوتها في حصار عكا، أما القوات العثمانية فكانت تحت قيادة عبد الله باشا، لكن الجيش العثماني لم يعد قادرا على المواجهة وسلمت بذلك عكا بعد حصار دام سبعة أشهر.³

تذكر المراجع على أن الظروف التي دخل فيها إبراهيم باشا دمشق هيأته في 03 محرم 1248 أرسل إلى الأعيان الدمشقيين يطلب منهم أن يمكنوه من دخولها، فلم يرسلوا له جوابا، ثم بعث بثانية فأرسلوا إليه أنه لا يمكنه من الدخول أصلا، وفي 08 محرم جاء الخبر بأن عسكره وصلوا إلى جسر بنات يعقوب، فاستعد أهل دمشق لقتاله واجتمع رؤسائهم وتعاقدوا على ذلك، وحصل لأهل البلد والقرى انزعاجا شديدا ووصل جيش إبراهيم إلى دمشق.⁴

تمكن إبراهيم باشا من دخول دمشق مستحضرا معه الأمير البشير وعدد من رجاله، وكانت الدولة قد عينت علو باشا واليا على الشام، ولما أشرف إبراهيم باشا استكشف عددهم

¹ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981، ص ص 499-501.

² ولد عام 1789 وهو الإبن الأكبر لمحمد علي باشا، ولد في نصرلي قرب قوله بالروملي (مقدونيا) وقد إستدعاه والده مع شقيقه طوسون إلى مصر سنة 1805. (ينظر: مجهول، حملة إبراهيم باشا على سورية، تح: أحمد غسان بسبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، (د.ت.ن)، ص 11).

³ هدى بلال، المرجع السابق، ص 345.

⁴ محمد جميل شطي، أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر 1350/1201، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، (د.ت.ن)، ص 32.

فاطلع على مركز الأكراد، مركز رجال دمشق وقام بمهاجمتهم، ودارت رحى الحرب، وقد استغرب الدمشقيون سرعة الطلق، وكان جديداً على سمعهم فساد الخوف فيهم وولوا أدبارهم وأما الأكراد فقاتلوا ولكنهم لم يقدرُوا على الثبات طويلاً، ولما رأى علو باشا محل بمعسكره طلب النجاة بنفسه، ودخل إبراهيم باشا المدينة، ولم يسمح لعسكره بالنهب، وتركها على راحة أهلها، وعين عليها أحمد بك ربيب كورد يوسف باشا.¹

وبعد ذلك تمكن من حلب، والسيطرة على حماة، واستعد للتوغل نحو الشمال، وذلك بعد معركة قونية، وكانت ردة فعل الحلفاء هو رفض المساعدة لمحمود الثاني، وفرنسا كانت مؤيدة للحملة المصرية، وأما النمسا وبروسيا فوقفتا موقف حياد.²

وبهذا توالت انتصارات إبراهيم وتوسعاته من بلاد الشام نحو الأناضول، فخشي السلطان محمود الثاني من تقدمه نحو العاصمة، لذلك لجأ إلى التحالف مع بريطانيا التي كانت رافضة لهذا الأمر منذ بدايته، وهذا التقدم الذي أحرزها إبراهيم باشا أثار كذلك قلق روسيا لأنها كانت تهدف للوصول إلى المضائق البحرية العثمانية، فأرسلت إلى الباب العالي لتولي أمر المضائق من خطر الحملة المصرية وكان لها ذلك، وما إن أرسلت قواتها البحرية إلى مضيق البوسفور حتى أدى ذلك إلى قلق كل من فرنسا وإنجلترا والنمسا، وذلك بسيطرة روسيا على الممرات البحرية.³

وبتدخل هذه الدول خصوصاً فرنسا، جرت على أثرها مفاوضات بين السلطان محمود الثاني ونظيره محمد علي باشا والي مصر، تم التوقيع على صلح كوناهاية في 08 أبريل 1833⁴، وبمقتضى هذا الاتفاق تم تراجع الجيش المصري وجلائه من الأناضول، مقابل أن يحصل محمد علي باشا على ولاية مصر مدى الحياة، مع تعيينه والياً على بلاد الشام

¹ سهيل زكار، المرجع السابق، ص 163.

² محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط 02، دار النفائس بيروت، 2008، ص 355.

³ نفسه، ص 355.

⁴ عبد الرحمن الرفاعي، عصر محمد علي، ط 05، دار المعارف، القاهرة، 1989، ص 55.

وجزيرة كريت، وتنصيب ابنه إبراهيم باشا واليا على أدرنة، وبهذا أصبح محمد علي يملك استقلالاً في مصر والشام.¹

لكن محمود الثاني لم يتقبل الأمر، فقام بإثارة الفتن وسط الأهالي ولم ينجح في ذلك، مما أدى به إلى إرسال الجيش في ربيع عام 1839 بقيادة حافظ باشا إلى بلاد الشام، وباشر بالهجوم، لكن الأمر لم ينتهي لصالحه، فانهمز فيها الجيش العثماني، وتوفي السلطان محمود الثاني في 1839 في معركة نصيبين (نزيب).

في فترة حكم محمد علي لدمشق، ظهرت العديد من التحسينات والإيجابيات منها:

- تصفية التعسف الإقطاعي.
- القضاء على الانفصالية الإقطاعية.
- تحديث البلاد.
- الاهتمام بالقطاع الزراعي.
- إنشاء قرى جديدة بين دمشق وحلب.
- إلغاء جباية الضرائب التوسعية.

بعد تولي عبد المجيد الحكم اجتمع سفراء الدول الأجنبية بغرض إحلال السلام في المشرق، وانتهى الاجتماع بتوقيع معاهدة لندن في 15 تموز 1840 وغابت عنه فرنسا وصادقت عليه الدولة العثمانية، وقسمت البلاد إلى ولايتين ولاية دمشق، وولاية حلب.²

(ينظر إلى الملحق رقم: 02)

¹هدى بلال، المرجع السابق، ص 348.

²سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 29.

المبحث الثاني: دمشق في عهد التنظيمات في فترة ما بين 1839-1876

تعتبر التنظيمات العثمانية في تاريخ دمشق من أهم ما قام به السلاطين العثمانيين الذين أصبحوا يفكرون في تنظيمات جديدة، لكي يُرجع ذلك هيبة الدولة كما كانت في سابق عهدها، وذلك ضمن إطار التنظيمات الجديدة التي تهدف إلى حركة تغييرات مست جميع الجوانب، وفق نظم سياسية جديدة، استناداً إلى التجارب الأوروبية مما أدى ذلك في التوغل الأوروبي، التدخل في الأمور الداخلية في دمشق، فالتنظيمات الخيرية والشرف الهمايوني، والفتنة الطائفية... وغيرها من الأحداث الأخرى التي أضعفت من كيانها ويرجع ذلك إلى عدة أسباب ومن ضمنها الامتيازات، وما احتوته قوانينها وهذا في إطار التنظيمات التي كانت ما بين 1839 إلى غاية نهاية فترة السلطان عبد الحميد الثاني.

المطلب الأول: دمشق في فترة السلطان عبد المجيد 1839-1860

شهدت هذه الفترة الكثير من التنظيمات، شاملة بقراراتها جميع الإيالات التي كانت تحت إمرة الدولة العثمانية، فأى تغيير يطرأ في الجانب السياسي يعمم على جميع الإيالات العثمانية، وذلك بإصدار السلطان لفرمان يقضي إلى تنفيذ أوامر السلطة العلية. وقضت على سلطة الأمراء والمشايخ، والأخذ بمبدأ الشورى متشكلاً من أعضاء محليين ولكن أثناء خروجه أحدثوا فيها تغييرات، حيث شملت هذه التغييرات إيالة الشام عام 1850 ضمت لواء الشام ودمشق وحمص وحماة ومعرّة النعمان والعديد من الإصلاحات الأخرى التي سنشهدها في فترة السلطان عبد المجيد.

01- التعريف بالسلطان عبد المجيد الأول 1823-1861

يعتبر من السلاطين الذين ساهموا في التنظيمات، والتي مست كذلك دمشق، كان من المعجبين بالنمط الغربي، فهو أول من تعلم اللغة الفرنسية، وتكلم بها من بني عثمان، بالإضافة إلى اللغة العربية والفارسية¹، وكان يتابع مخططات وبرامج والده السلطان محمود الثاني 1808-1839 الذي استقاها من الطريقة الأوروبية²، ولم يقم بهذا العمل لوحده بل

¹أحمدأق كوندوز، سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص397

²نفسه، ص397

قام بمساعدته بعض من الوزراء، كما ظهرت في عهده تشريعات وقوانين إصلاحية التي مست جميع المجالات التي تنتمي للدول، والتي عرفت باسم التنظيمات.¹

أما عن طريقة إدارته للدولة قد اختلفت عن طريقة والده، حيث جعل إدارة الحكم من طرف الطبقة العليا من رجال الدولة، حمل السلطان عبد المجيد صفات عدة من بينها أنه يميل لحياة القصر، وحب للنساء، بحيث نجده قد تزوج بـ 22 امرأة، وأنجب 37 ولداً، إضافة إلى أنه انتصر على الجيش المصري²، توفي في 06 يونيو 1861 وهو في عمر الأربعين سنة، وحكم 22 سنة ونصف.³

02- مرسوم كولخانة 1839.⁴

من بين التنظيمات التي سادت في عهد السلطان عبد المجيد خط كولخانة⁵، حيث صدر هذا المرسوم في 23 نوفمبر 1839⁶ جاء بغرض كسب الرأي العام لأن مدينة دمشق كانت تحت وطأة الحكم المصري هذا ما يشكل خطراً على الدولة العثمانية، خاصة بعد الانتصارات التي حققها محمد علي باشا ووصل بنفوذه إلى الأناضول، بواسطة الحملات التي شنّها إبراهيم باشا، وهذا ما أقلق الدولة العثمانية⁷، ولهذا لجأ إلى وضع هذا المرسوم ليلفت النظر ويكسب الدعم من الدول الأوروبية، من أجل استرجاع وتفعل الوحدة المجتمعية لديها، لذلك نجدها قد عملت على التركيز في إصلاح شؤون رعاية المسيحيين في الإيالات⁸، ليظهر أمام الدول الأوروبية أنه يقوم برعاياهم، على غرار محمد علي باشا.¹

¹ عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت. ن)، ج 3، ص 853.

² أحمدأق كوندوز، المرجع السابق، ص 401، 402.

³ فريد بك محمد، المرجع السابق، ص 529.

⁴ إصطلاح سياسي إداري يقصد به الفرمان الذي أصدره السلطان عبد المجيد الأول 1255، 1839 والذي يشمل عدة إصلاحات إدارية فقد بدأها السلطان محمود الثاني، وعرف هذا البرنامج الإصلاحية تاريخياً باسم التنظيمات. (ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1969، ص 164).

⁵ هي كلمة تركية تتكون من مقطعين فكل: تعني الورد، وخانة: بيت، أي بيت الزهور. (ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 192).

⁶ مفيد الزبيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص 253.

⁷ عبد الله أحمد المصطفى، السياسة الأوروبية وتطورها في بلاد الشام 1840، 1876، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، دمشق، 2014، ص 135.

⁸ مصطفى أحمد عبد الرحيم، أصول التاريخ العثماني، ط 02، دار الشروق، بيروت، 1986، ص 199 - 201.

يعتبر مصطفى رشيد باشا² 1800/1858 من الذين قاموا بتأسيس النظام الدبلوماسي الجديد، وذلك على حسب الوضع الذي كانت تعيشه الدولة العثمانية آن ذاك، حيث عمل كسفير لبلادها لدى الدول الأوروبية، وخلال تطلعه للوضع، ووجد فروقات عدة، بين الدول الغربية والدولة العثمانية، فشرع بوضع مشروعه وذلك بإصداره لبيان خط كولخانة للدولة³ وذلك بغرض الإصلاح، بعد موافقة باب العالي على مقترحات، وكان الهدف من وضعه لهذا الإصلاح هو أن يلقي صدى إيجابيا في أوروبا، وذلك لكيلا تقع مشاكل معها ومحافظة على العلاقات السلمية معها.⁴

بدأ عهد التنظيمات، وذلك بقيام مصطفى باشا بتلاوة المنشور، وذلك بحضور ممثلي عن الطبقات الاجتماعية وكذلك بحضور السفراء الأجانب⁵، إذ يعتبر هذا المرسوم رمزا للنمو الاقتصادي، ونشر العقلية البرجوازية في المجتمع العثماني، إذ كان من ضمنه الحفاظ على ممتلكات وكرامة المسلمين وغير المسلمين، فهذا جديد على الإيالات التي تنتمي للدولة العثمانية⁶، فالسلطة العثمانية ولأول مرة تتكفل بالمساواة أمام القانون بين المسلمين وغير المسلمين، وأصبح من الضرورة الاعتماد على النمط الغربي، حتى وإن تعارض ذلك مع الشريعة الإسلامية.

نجد أن هذه التنظيمات لم تحقق نتائج مباشرة، إذ أنها تركت الباب مفتوحا أمام تحولات مست جميع الجوانب، وذلك باندماجها مع السوق الأوروبية، مما خلف ذلك ظهور طبقة من

¹ عبد الله أحمد مصطفى، المرجع السابق، ص 135

² ولد بإسطنبول في 13 مارس 1800 وبدأ مصطفى رشيد باشا العمل ككاتب في الصدارة العظمى سبتمبر 1824 شهد مفاوضات بين الدولة العثمانية وروسيا، عقب انتهاء الحرب اليونانية، عين سفيرا في باريس 1834، ثم لندن 1836، ثم وزيرا للخارجية 1837، كما يعتبر أشهر رجالات الإصلاح في الدولة العثمانية، توفي في 1858. (أحمد أق كوندوز، سعيد أوزتورك، المرجع السابق، ص 414)

³ روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 531. (للمزيد ينظر: عبد الله أحمد مصطفى، المرجع السابق، ص 135).

⁴ نفسه، ص 136.

⁵ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 274

⁶ عبد الله أحمد مصطفى، المرجع السابق، ص 136.

التجار والصناع، وتنشيط التيارات الانفصالية في أواسط الشعوب التي يرتبط نظامها مع الدولة العثمانية، هذا من ناحية التأثير على الإيالات ومثالا على ذلك دمشق.

أما من جهة المواقف الأوروبية من هذا التنظيم، حيث أن النمسا وروسيا لم ترتاحا لهذه التغيرات، بينما بريطانيا وفرنسا قد أبدتا موافقتهما على هاته الإصلاحات السياسية لأنها زادت من مكاسبهما الاقتصادية والاستثمار في الإيالات، ومن الجانب السياسي كذلك لأنه سهل الأمر عليهما من أجل السيطرة، إذ فتحت مجالا واسعا أمام التبشير، ودعم نظام الامتيازات قديما، وذلك بتشجيع وضع المشاريع، وكسب الاستثمار في جميع الإيالات.

- فيمكن تلخيص ذلك على النحو التالي:
 - صيانة حياة وشرف وممتلكات الرعايا بصورة كلية بغض النظر عن المعتقدات الدينية.
 - ضمان طريقة صحيحة لتوزيع وجباية الضرائب.
 - توخي العدل والإنصاف في فرض الجندية وتحديد أمدها.
 - المساوات في الحقوق والواجبات بين المسلم وغير المسلم.¹
- فخط كولخانة، هو أول مرسوم في عهد السلطان عبد المجيد الأول، اذ يعتبر قانون الإصلاح السياسي الذي وضعه الوزير مصطفى رشيد وهو من أبرز رواد الإصلاح السياسي، واختلفت الآراء حول صدور هذا المرسوم، فهناك من رأى أن الهدف الفعلي منه أنه من تخطيط الحركة الماسونية، إذ ولدت لدى الشعوب المسيحية الشعور القومي ضد الدولة العثمانية، ومن نتائجه، إنشاء مجلس النواب، ووضع قانونا لفرض العقوبات، وذلك استنادا لشرائع مصطفى رشيد، إذ هذا المرسوم عمم على جميع الولايات.²
- بنود مرسوم خط كولخانة:**

1. جاء في هذا المرسوم، منح جميع رعايا التابعين للدولة العثمانية الأمان وحفظ الروح والمال وهذا حسب المرسوم الذي نص بـ: "... لذلك نرى من اللازم لأجل حسن الإدارة

¹ علي محمد صلابي، المرجع السابق، ص 374.

² مفيد الزبيدي، موسوعة التاريخ 06؛ العصر العثماني، دار أسامة، الأردن، 2009، ص 253.

- ممالكنا المحروسة ووضع بعض القوانين الجديدة تتعلق موادها اساسا بأمنية النفوس والمحافظة على الأموال والعرض والناموس...".
2. تقديم السلطان الوعود مز أجل إصلاح أمور الإدارة والقضاء، والتعليم، والجيش بحيث سيقوم بالتوفيق بين مصالح الملة والوطن، وذلك لكن التبعية للإيالات للدولة العثمانية، وحمائتها من ظلم الولاة بحيث نص على... "كذلك أن ينظر في دعاوي أصحاب الجرائم بعد الآن، بوجه التدقيق بمقتضى القوانين الشرعية...".
3. إيجاد نظام للتجنيد.
4. ثبت السلطان التكاليف المالية، ونظام الضرائب، والشروع في تنظيمها وطريقة جبايتها، وإلغاء نظام الالتزام، لكونه خلف أثارا سلبية... "كما أن مادة تعيين التكاليف تستلزمها بكل دولة، بحسب الاحتياج إلى العساكر، وغيرها من المصاريف لأجل المحافظة على بلدها...".
5. أما بشأن الالتزام¹ فقد ورد... "لم تزل أصول الالتزام ظن آلات الحزب ولم نجني منها ثمر نافع في وقت من الأوقات...".
6. العمل على القضاء على الرشوة في كانت منتشرة بكثرة في المناصب الإدارية... "يجب أن ينظر في قانون قوي يتأكد به الآن عدم وقوع مادة الرشوة الكريهة والتي هي السبب الأعظم في خراب الملك...".
7. السعي نحو الإصلاح داخل الدولة العثمانية وذلك بصدور التنظيمات والقوانين الرادعة للخروقات... "بما أن هذه القوانين الشرعية سيصير وضعها لإحياء الدين والدولة والملك والملة...".²
8. تعميم خط كولخانة على جميع الولايات وإبلاغه لسفراء الدول الأجنبية رسميا... "تعلن إدارتنا السلطانية مذاعة إلى أهالي دار السعادة، وجميع ممالكنا المحروسة، وأن يعلم بها رسميا جميع السفراء المقيمين في دار سعادتنا...".¹

¹الدستور، تر: نوفل أفندي نعمة الله نوفل، مراجعة وتحقيق: خليل أفندي الخوري، مج الأول، المطبعة السورية، بيروت، ص ص02-04.

²نفسه، ص ص02،04.

وعقب هذا الإصدار لخط كولخانة، خلف عدة أثار شملت العديد من الولايات ومنها: إصدار الدولة العثمانية جملة من القوانين الجزائية، في 08 مارس 1840، صدر قانون العقوبات والذي أنشأ بفعله محاكم نظامية، وفي شهر ديسمبر 1843 صدر قانون خاص بالجنديّة، وقانون آخر خاص بالتعليم، شاملاً بذلك جميع مراحلها والحاحه على إجبارية التعليم، والذي رآه بالأمر الضروري، أما في عام 1852 صدر مرسوم يمنح الباشوات الإيالات، ولهم السلطات الواسعة في إيالاتهم، كما كان للدولة والحكومة العثمانية، بإبقاء عدد من الطلبة للدراسة في أوروبا ما بين أعوام 1856/1848 وبلغ عددهم 50 طالبا في باريس وحدها.²

من خلال هذا المرسوم عزمت الحكومة على تنشيط أجهزتها واستعادة قوة الدولة، واسترجاع زمام الأمور في الولايات البعيدة، فتم القضاء على الفساد لدى أجهزة الدولة البيروقراطية، وأحلت محله نظام حكم ملكي يقوم على المشورة، كما مهدا هذا لاستخدام العلمانية في التشريع الحكومي، كما أن هذا المرسوم شجع التدخل الأوروبي الواسع في ولاياتها، إذ اعتلوا مناصب إدارية مكنتهم من السيطرة على الإيالات التابعة للدولة العثمانية فنجد أن بريطانيا قد أباحت لنفسها التدخل في الشؤون الداخلية باسم هذا المرسوم.³

فمع وصول نجيب باشا إلى دمشق، فقد جرى تطبيق لهاته الاجراءات الإصلاحية والتنظيمات في سورية، ومما له مغزاه أن هذه الإجراءات قد تضمنت تقليص مدة إستقلال الولاية بإدارة شؤونها، وتمكنهم من مد الحكم العثماني إلى الأرياف، وكان الهدف من وضع العديد من القوات السلطانية، من أجل حماية سورية من الغزو المصري، وكذلك لضمان أمن قوافل الحج من دمشق إلى مكة، وكذلك لفرض سلطتها على الإيالات، وأملها أثناء نشر القوات الشبه العسكرية وأغوتها إلى فرض الهيمنة وحمائتها من التدخل الأجنبي، فقد بلغ عددهم في نهاية 1844 نحو 25.000، أما بالنسبة للمنطقة المحيطة بدمشق، فقد خلت

¹ الدستور، المرجع السابق، ص ص 02-04.

² إكمال الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، مج 01، مركز الأبحاث التاريخية والفنون

الثقافية الإسلامية، إسطنبول، (د.ت.ن)، ص 523.

³ ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص ص 67-70.

من التدخل العسكري حتى عام 1845، وذلك عندما انتقل مقر القيادة إليها، فهذا التواجد للقوات العسكرية بعض النجاحات ما بين 1845-1852 في تجنيد الشبان وتحصيل الضرائب، وأضحى القائد العسكري يقوم بمنصب الوالي فضلا عن قيادة الجيش، وكان هذا عام 1853 مما زاد في غلبة السلطان، وتراجع عددهم بقيام حرب القرم.

أثناء تشكيل القوات النظامية، أدى ذلك إلى تقليص الاعتمادات على القوات الشبه العسكرية، وعموما عجز الجيش العثماني في المنطقة المحيطة بدمشق عن تعويض الجماعات المحلية الشبه عسكرية، وقد أسمرت هاته القوات في دمشق لعدة عقود من الزمن. وأطلق عليهم جيش عربستان، كتب القنصل الفرنسي الميسيو "برنار" عام 1862 عن القوات الشبه العسكرية: "... أما زعماء هذه العصابات الذين يتجولون في كافة أرجاء سورية، كأنهم قادة حقيقيون مستخفين بسلطة السلطان...".¹

ومن الإجراءات في الخمسينيات حول قانون الأراضي، هي فرض الضرائب على سكان دمشق، ولقي ذلك معارضة من دمشق، لأنهم شعروا بالتهديد جراء هذه التنظيمات، ومع الهيمنة العثمانية، تقلص عدد القوات الشبه العسكرية، وعملت السلطة العثمانية على تعيين مسؤولين، وأغلبهم كانوا يجهلون لغة دمشق، وعملوا على إضفاء الشرعية للسلطة. ولقد شاء العثمانيون في عهد التنظيمات، تم الاعتماد على مجلس يعتمد على أعيان محليين في تسيير أمور المجلس، بموجب أوامر سلطانية، وشغل منصب هذا المجلس ما بين 1840-1860 فنذكر منهم²:

مفتو الحنفية: 1840 حسين المرادي، 1850 علي المرادي، 1850 طاهر الأمدي.

النقباء: 1833 المحسن العجلاني، 1846 نسيب حمزة، 1846 أحمد العجلاني.

أعضاء بالتعيين: 1860 عبد الله بك مؤيد العظم، 1874 علي العظم، 1861 عمر

العزي، 1865 أبو سعود العزي، 1874 محمد العزي، 1865 عبد الهادي فاروقي

¹ ليندا تشلشر، المرجع السابق، ص72.

² نفسه، ص73.

العمرى¹، 1876 أحمد الحسيبي، 1849 نسيب حمزة، 1887 عبد القادر حمزة، 1871 حسن تقي الدين الحصني، 1868-1869 صالح آغا المهاني، 1887/1822، 1888 سعيد الاسطواني، 1854 أحمد المالكي، 1886 عثمان بك مردم بك، 1793-1880-1881 محمد الجابي.²

يمكن اعتبار المجلس كمؤسسة سياسية شأنها شأن التنظيمات عموماً، ومنه فقد ظهرت العديد من التغيرات السياسية، لصالح الأطراف المسلمة أو غير المسلمة بحيث شمل هذا القرار جميع الإيالات العثمانية بما فيها دمشق وذلك من خلال تطبيق مبدأ المساواة.

03- مؤتمر لندن 1840

جاء مؤتمر لندن، للفصل بين المؤيد والمعارض لسياسة محمد علي باشا، الذي فرض سيطرته على بلاد الشام وتوسع على حساب الأراضي العثمانية، فرأى وزير الخارجية البريطاني أنه لابد من عقد معاهدة وفاق، والتي جمعت بين السفير النمساوي في بريطانيا البارون تومان، وأغن بروسيا البارون بيلوف، وعن روسيا بارون برينوف، وعن تركيا الوزير شكيب أفندي، والذي شغل منصب المفوض عن الباب العالي في لندن، حيث تم إبرامها لمعالجة ما يعرف بالمسألة الشرقية، وكان ذلك في 15 جمادى الأولى 1256هـ/ 15 يوليو 1840 والذي نص على:

- محمد علي باشا ولاية مصر وراثياً وعكا مدى الحياة.
- مطالبته بإخلاء الكويت والحجاز وأضنة.³
- أن يدفع محمد علي باشا جزية سنوية السلطان.
- إلتزام محمد علي باشا بتطبيق كل المعاهدات التي وقعتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية.

¹ زهير غزال، الاقتصاد السياسي لدمشق خلال القرن التاسع عشر، بنى تقليدية في عصر رأس مال، تر: ملكة ابيض، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008، ص ص77، 78.

² ليندا تشيلشر، المرجع السابق، ص ص72، 73.

³ عبد الرحمن الرفاعي، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة، ص292.

إن قوات محمد علي باشا البرية والبحرية جزءا من قوات الدولة العثمانية وبذلك وتكون في خدمة السلطان العثماني والإلتزام بأوامره¹، وألزمت على علي باشا بتطبيق ما فرض عليه من المعاهدة، وإشترطت عليه كذلك أن يعلن قبوله لهذا العرض في عشرة أيام، فإذا لم يفعل محمد علي باشا بما جاءه في المعاهدة، فإذا لم يفعل تسحب الدول الأربعة عرضها الخاص بولاية عكا، فإذا لم يفعل ما طلب منه في مدة عشرين يوما فإنها ستقوم بسحب عرضها كله تاركة للسلطان حرية حرمانه من ولاية مصر وفرنسا، مما خلف ذلك تأزم علاقاتها مع بريطانيا، فقامت بتحريض محمد علي في رفض قرار هذه الدول²، لكنه فشل في التغلب على الوفاق الأوروبي. لكن فرنسا كانت ترغب حقا في منع إقامة أي تحالف ضد محمد علي، وظلت تعارض هذا التحالف، فهذا لا يعينها مستعدة الحرب، لأن فرنسا مانته غارقة في مشكلاتها مع الجزائر وذلك لمواجهة الحركة الوطنية المسلحة بقيادة الزعيم الوطني الأمير عبد القادر الجزائري.³

وعند انقضاء المهلة المقدمة من وفاق الدول، فشرعت قوات الدول المشاركة في الاتفاقية، بقيادة بريطانيا ذلك تحت رئاسة السير شارل سميث، حيث حاصر جيش محمد علي في سورية بتاريخ 03 سبتمبر 1840 والتي هزم بها الجيش المصري جراء ذلك، وأثناء هذه الأحداث تراجع الموقف الفرنسي الذي كان يؤيد محمد علي، وأكد له بضرورة عقد صلح مع الباب العالي، وتم ذلك، حيث طلب محمد علي بالحكم الوراثي لمصر، وأما سوريا فهو لأمد الحياة، فمطالبه سترفض اكيد، وفي انسحب الأسطول الفرنسي من سوريا، وهكذا فقد تخلت فرنسا عن مصر، وتركته لوحدها تصارع الدول الغربية الأخرى، وعليه فتم التوقيع على الاتفاقية واتفق على تنسحب القوات المصرية من سورية، وقبول حكم مصر وراثيا، وتم

¹ محمد عبد الفتاح أبو الفضل، الصحة المصرية في عهد محمد علي، القاهرة، 1998، ص 210.

² سليمان بن محمد الغنام، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (1811، 1840) في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا، (د.د.ن)، جدة، 1980، ص 117.

³ محمد عبد الستار البديري، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي، دار الشروق، القاهرة، 1968، ص 207.

تسليم سوريا إلى باب العالي¹، فأبدت بريطانيا موقفها بالرفض مطالبة بذلك إلى عزله، لكن حسم الموقف على أن يبقى محمد على صلة بالدولة العثمانية، ومرتبطا بها، واستمر هذا الوضع إلى فرض النظام الانتداب البريطاني على مصر في 1882.²

وقد خرج هذا المؤتمر بجملة من النتائج حيث أثر ذلك على الدولة العثمانية، وذلك برجوع الهيبة لها واستعادت مكانتها، وإرجاع مصر لحدودها، أصبح الجيش المصري لا يشكل خطرا على الدولة العثمانية، وبالنسبة لبريطانيا، فقد حدثت من توسعات محمد علي باشا في سوريا وشبه الجزيرة الغربية، وعدم مشاركة فرنسا فيها، فبالنسبة إلى بلاد الشام، فقد سادت فيعا فوضى، أثناء خروج الجيش المصري، مخلفة بذلك العداوة الدينية، فتأزم الوضع وحدث اعتداء بين الدروز (فرنسا) والموارنة (بريطانيا).³

فيما بعد فقد انعقد مؤتمر ثاني في 1841، حيث جاء هذا الصراع بين القوي الأربعة والدولة العثمانية حول الملاحة البحرية.

04- الخط الهمايوني 1856⁴

بعد صدور خط كولخانة 1839، ويعتبر بند المساواة بين الرعايا هو بمثابة خطوة للتوغل الأوروبي، ليأتي مرسوم آخر أصدرته الدولة العثمانية الموسوم بالخط الشريف الهمايوني 1856 والذي أتى هو الآخر كفرصة أو كهدية للدول الغربية إذ يعتبر مقتبسا من النظام الغربي وجاء فيه:

- إلغاء نظام الالتزام والقضاء على الرشوة والفساد في المناصب الإدارية.
- المساواة في التجنيد بين المسلمين وغير المسلمين.
- السماح للطوائف الغير إسلامية في ممارسة شعائرهم الدينية بحرية.

¹ سليمان بن محمد الغنام، المرجع السابق، ص 117.

² نفسه، ص 117. وينظر محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص 211.

³ فريد بك محمد، المرجع السابق، ص 188.

⁴ يطلق على الأوامر الصادرة عن السلطان وبخط يده، أو بما يحرره الكتاب، وإمضاها، ويطلق أيضا على التعليقات المدونة من السلاطين على الملخصات المقدمة من الصدور العظام، ويسمى الهمايوني بالخط الشريف، وأعلنه السلطان عبد المجيد. (ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 32).

- فتح وظائف الدولة لكافة رعايا السلطان.
- إنشاء محاكم مختلطة للفصل في القضايا المدنية والجنائية.
- المساواة في جميع الحقوق والواجبات.
- السماح للأجانب بالامتلاك الأراضي بهدف تطوير الاقتصاد.
- المنع العمل بنظام الالتزام
- إصلاح السجون ووضع نظام الشرطة، وأوصى بتكوين المجالس في الولايات.
- التشجيع على إنشاء البنوك وإصلاح النقد لتوفير رؤوس الأموال
- فتح معاهد للتعليم.¹

نجد أن كل هذه الشروط مأخوذة من النظام الغربي، تتسجم مع ما تسعى إليه الدول الغربية لبسط نفوذها، فمادام أن هذا المرسوم الصادر عن السلطان قد سمح للأجانب حق امتلاك الأراضي، فهذا البند سهل من عملية الاستيطان والتوغل في بلاد الشام، وتطور هذا الوضع إلى أصبح استعماراً²، فبهذه الحركة فإن السلطان قد دعم حركة التغريب في بلاد الشام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذه القوانين لم تستند للقرآن الكريم، فكلها عبارة عن قوانين أخذت عن النظام الغربي، واتخذت بهذا أولى خطواتها نحو العلمانية، وذلك بفصل الدين عن الدولة، وأيضاً الامتيازات التي تحولت فيما بعد إلى حقوق شرعية في ممارسة التجارة، وأصبح بإمكانهم التدخل في الشؤون الداخلية للدولة.³

فصدور هكذا مراسيم ليس بالضرورة يخص الدولة العثمانية فقط، بل إن قانون الصادر منها يعمم على جميع الإيالات التي تنتمي إليها، وأن هذه المراسيم سمحت لغير المسلمين في الانخراط في جميع المجالات السياسية، وقد برز ظهورهم كذلك في الوظائف العامة للحكومة.

¹ الدستور، المرجع السابق، ص 10-15.

² مفيد الزبيدي، المرجع السابق، ص 153.

³ قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مركز الدراسات الإسلام والعالم، (د.ب.ن)، (د.ت.ن)، ص 63-66.

05- الفتنة الطائفية 1860

نظرا للمراسيم التي أصدرت، كانت هناك ردود أفعال، ومنها الفتنة الطائفية فقبل الشروع في التحدث عن الأسباب، سنتعرف على مفهوم الطائفية، حيث تشمل العديد من العناصر منها، تعدد الانتماءات الفردية داخل المجتمع الواحد، مما يساهم ذلك بضعفه نظرا لعدم اندماجهم مع بعض، كما نجد لديهم العصبية، أو بما يسمى بالانتماء الجزئي في المجتمع، وتساهم هذه العصبية في الارتباط الطائفي، وهذا الأمر نجده لدى الأقليات مشكلة بذلك القومية والدولية، فكلها ظهرت بعد المراسيم السلطان العثماني¹.

يعرف فؤاد شاهين الطائفية على أنها ذلك الشعور الخفي أو المعلن يدفع إحدى الطوائف لاعتبار مصلحتها تفوق المصالح الأخرى وتتقدمها على حساب الطوائف الأخرى، وذلك ما يدفعها إلى الانكماش بذاتها، كما يعدها موقفا نفسيا للفرد يفرض على الفرد الآخر نمطا معين من السلوك الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والطائفة هي من الظواهر الدينية².

أما بخصوص بلاد الشام، فنجد أن النصارى قد كانت لهم وظائف إدارية، وذلك نظرا لتكوينهم التعليمي، وما يكسبون من ثقافات وتجارب في الأمور الإدارية، وشغلوا كمستشارين للباشوات العثمانيين، وفتحت الكثير من المناصب خاصة بعد 1856 وأكثر الجوانب التي كانت أكثر اكتساحا التي تخص الجانب الاقتصادي، كمحاسب مثلا، وهذا ما شهدته مدينة دمشق، والدليل على ذلك بعد حادثة 1860 توقفت الأعمال وسير الوظائف التي كان يعملها غير المسلمين، كما أصبحت لهؤلاء شهادة في المحاكم الشرعية في دمشق، وأما بخصوص

¹فدوى نصيرات، "فتنة دمشق 1860 دراسة تاريخية تحليلية"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج15، ع01، 2021، ص04.

²نفسه، ص04

رؤساء الطوائف، فقد عملوا على جمع الجزية المفروضة على طوائفهم، والتي الغيت بموجب المرسوم الهمايوني 1856، لكنهم رفضوا أداء الخدمة العسكرية، والدفع مقابل ذلك.¹ قامت روسيا، بدعم الأرثوذكس، وافتتحت قناصل فيها، وقامت بموجبها توزيع التبرعات، لرعاياها، وتأرجح الدبلوماسيون الروس بين بيروت ودمشق والاسكندرية، وفي مارس 1860 اتخذت الروس خطوة مهمة لدمج المجتمعين، الدمشقي والمصري في الكنيسة الارثوذكسية.²

ومن الأسباب التي تؤدي بظهور الفتن وذلك ما حدث في دمشق هي ظهور المراسيم التي تساوي بين الرعايا المسلمين والغير مسلمين، والامتيازات الأجنبية التي تحولت فيما بعد إلى حقوق شرعية، والحكم المصري للبلاد نظرا للتغيرات التي أحدثها في المجتمع الدمشقي، والذي أخذ عن النمط الغربي، والتنظيمات العثمانية أو التنظيمات الخيرية والتي كانت تخدم الطوائف الغربية على العربية.

فتضاربت المعلومات حول أحداث 1860، فمنهم من يرى أنه حين استيقظ المسلمين، وجدوا شوارعهم مليئة بإشارات الصليب بهدف التشهير بالمسيحية، فقام الحاكم العام أحمد باشا بالقبض على من قاموا بالفعل، عاقبهم بإعطائهم مكنسة الزبالين وساقهم في موكب في طرقات دمشق، فأزعج ذلك المسيحيين وهجموا على المسلمين في دمشق، وبعد انتشار الخبر لهذا التمرد حضر جميع المسلمين من جميع النواحي، وهجموا على الحي المسيحي، بينما ذهب رأي آخر أن أحمد باشا هو الذي قان بإشعال نار الفتنة، إذ حرض المسلمين على هجوم المسيحيين، لذلك نجدهم قد هجموا أولاً، وهو من جعل بعض المسلمين يكتسبون الحي المسيحي مما أثار ذلك غضب المسلمين، واعتبروهم أخلفوها وزادت نيران الفتنة إلى أن تدخل الأمير عبد القادر الجزائري، والذي هدأ من الوضع حيث قام بمعية

¹ عبد الغني جاز الله، "حالة النصارى في سوريا منذ اواخر القرن التاسع عشر"، مجلة الملوية للدراسات الاثارية والتاريخية، مج03، ع05، آيار 2016، صص210، 211.

²Lara gerd, russia and the melkites of syria attempts at reconverting into orthodoxy in the 1850s, 1860sscrinium, p138.

بعض الجزائريين، بجمع المسيحيين ووضعهم في بيته، وأنقذوا أكبر عدد منهم، واستمر الأمير في عملية الإنقاذ لمدة عشرة أيام، وتوقفت هذا الصراع إلى أن أتى وال جديد حكم دمشق والمتمثل في فؤاد باشا¹ ومعه ثلاثة آلاف جندي نظامي، مما أثر ذلك على الرأي الأوروبي وخاصة فرنسا، وتقاديا لدخول العثمانية في حرب معها قام فؤاد باشا بتعويض المسيحيين بما يلزمهم، حيث وضع لجنة وكلفها بتحديد التعويضات والتي دفعها المجتمع الدمشقي عن طريق الضرائب، وقامت الدولة العثمانية بإخلاء ثلاثة أحياء إسلامية في دمشق، وخصصها لإقامة اللاجئين المسيحيين، فأحمد باشا كان يفعل ذلك كله ليثير أحقاد المسلمين على النصارى، وخصوصا بأمر الرعايا.²

فكان للأمير عبد القادر³ دورا من الجانب السياسي، إذ نجده كان في اتصالات مع الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد، والتي تطورت العلاقات فيما بعد على النحو الإيجابي ذلك بعد نفيه سنة 1856 إلى بلاد الشام، واستقر بدمشق، إذ ساهم الأمير في حل الكثير من مشاكل المهاجرين الجزائريين، وقدم لهم ممتلكاته في سورية، وحسب المصادر الفرنسية فإن هذا التواجد قد أقلق كثيرا الدولة العثمانية إذ اعتبرته تهديدا لسيادتها، وبعد وفاة الأمير 1883 سارع كل من ممثلي عن الدولة العثمانية والفرنسية إلى كسب ولاء عائلته.⁴ إذا فهي فترة أهلية جرت بين الدروز المسلمين والموارنة المسيحيين، وذلك بعظ سلسلة من الاضطرابات بين الطائفتين، والتي بدأت من لبنان وانتقلت إلى بيروت ثم طرابلس الشام، صيدا، واللاذقية لتستمر إلى دمشق.

¹ 1815، 1869 صدر أعظم ورجل دولة، تولى منصب الصدارة العظمى في بداية عهد السلطان عبد العزيز، كلف قبل هذا التاريخ، بمهمة إعادة الهدوء الى لبنان بعد الفتنة التي حصلت بالشام، قام بإصلاح المالي بسبب الديون الكثيرة المتراكمة على الدولة العثمانية. (ينظر: محمد فريد بك، المرجع السابق، ص540)

² فدوى النصيرات، فتنة دمشق 1860 دراسة تاريخية تحليلية، مج15، ع01، 2021، صص 125 - 133.

³ 1808، 1883 زعيم عسكري وديني جزائري، أحرز العديد من الانتصارات، وهو أحد أبرز القادة في المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، فك أسره 1547 ونفل بقية عمره في دمشق، نجح في انقاذ حياة الكثير من النصارى 1860. (ينظر: منير بعلبكي، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص202).

⁴ جمعة بن زروال، "النشاط السياسي للجالية الجزائرية في بلاد الشام وموقف الدولة العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر"، مجلة الاستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، ع09، مج 01، مارس 2018، صص 128-131.

فأحداث دمشق تختلف على التي كانت في لبنان، فقد ذهب بعضهم أن من أسباب ظهور هذا الصراع هو منح امتيازات كثيرة للمسيحيين مما أغضب ذلك المسلمين (الخط الهمايوني)، وذلك نظراً إلى الجانب الاقتصادي الذي ازدهرت فيه التجارة المسيحية نظراً لاستثماره في الأراضي.¹

فالفتنة الطائفية كان لها أثر من الجانب السياسي، والتي أدت إلى التدخل الأجنبي فيها، من جهة، ودور أحمد باشا في إشعال نار الفتنة التي كادت أن تطيح بالنظام العثماني فيها، لولا تدخل الأمير عبد القادر الجزائري، الذي أخذ نيران الصراع الطائفي، وفؤاد باشا الذي سارع بمنح التعويضات للمسيحيين جراء الخراب الذي جرى لها.

المطلب الثاني: دمشق في فترة ما بين 1861-1876

تولى السلطان عبد العزيز² وأخذ عن النمط الأوروبي العديد من الأفكار وطبقها أثناء، وقام بتعميم المعارف في جميع أنحاء السلطة، وأبدى عنايته بالبحرية والعدلية وشهد عهده ظهور الأفكار القومية³، كما قام في بلاد الشام بفرض قانون التجنيد، وذلك بعد الصراع الطائفي 1860، وشمل ذلك جميع أنحاء سورية باستثناء لوائي حوران ودير الزور فسعى السلطان في نظام حكمه على تقوية الجيش، وقام بتجهيزه بعد فرض التجنيد، كما أن في أيامه افتتح طريق العجلات بين بيروت ودمشق في 1277 هـ الموافق لـ 1861م، وإنشأ بها ثكنات في محلي الباب الشرقي والميدان بدمشق، وجعل بها جنود كافية للحراسة والأمن، وقيامه كذلك بمد أول سلك برقي (تلغراف) بين العاصمة ودمشق، وكان مركزه يومذاك بالشام.⁴

¹فاطمة الزهراء رحمانى، "محطات من تاريخ سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر، على ضوء جريدة الرائد التونسي"، مجلة عصور، مج 20، ع 03، ديسمبر 2021، ص 202 - 205.

²ولد في 14 شعبان 1245 هـ الموافق ل 08 شباط 1830، واستلم الحكم في 18 ذي الحجة 1277 الموافق لـ 07 حزيران 1861، تولى العرش وعمره 32 سنة، وهو أول سلطان يسافر إلى أوروبا وهذا عام 1867. (ينظر: عزتو يوسف بك أصاف، المرجع السابق، ص 128).

³نفسه، ص 128.

⁴عبد العزيز العظمة، المرجع السابق، ص 185.

فخلال سنة 1285هـ، جري إصلاح وتنظيم الشورى، وديوان الأحكام العدلية، وفي 1282هـ تولى محمد راشد باشا الحكم في ولاية سورية، بحيث نجد أن هذا المذهب قد انتشر بكثرة في عهده.¹

01-قانون الولايات 1864:

قام كل من فؤاد ومدحت باشا بإصدار هذا القانون في نوفمبر 1864، حيث تم بموجبه تقسيم الولايات العثمانية وتمت صياغة هذا القانون في 78مادة، وتمت صياغته إلى 128مادة، حيث تنقسم هذه المواد إلى أبواب وفصول، وفي ضمنها خمسة مواد لديها علاقة بالتقسيمات الإدارية للولاية، ففي الباب الأول احتوى على ثلاث فصول، فالأول خاص بالإدارة الملكية، وفي الثاني خصص بالأمر الحوقية، وفي الفصل الأخير والذي اهتم بالأمر الخاصة بالولاية، وكلها فصول لها علاقة بالإدارة المركزية.

وفي الباب الثاني، ففيه فصلين الأول خاص بالمور المدنية، والآخر بأمر اللواء الحوقية، وقضاياها فهي تتواجد في الباب الثالث، أما الباب الرابع، فهو بهتم بتنظيم القرى والباب الأخير خصص بسير الانتخابات في المراكز الولاية.²

وفي سنة 1821 جرى ترتيب وتنظيم الولايات العثمانية، حيث جعلت مدينة دمشق حاضرة لولاية سوريا، بالإضافة إلى تغييرات أخرى التي مست الولايات في بلاد الشام، منها تغيير مصطلح الإيالة إلى ولاية بحيث قسمت الولاية إلى سناجق وأقضية ونواحي وقرى، وتم تنصيب مجلس إداري فيها بحيث يسيره كل من الوالي، ومفتش الأحكام الشرعيين، مأمور المالية، ومعاون الوالي بحيث تشكل من 04 ممثلين عن الأهالي المسلمين والمسيحيين،³ وبحسب القانون الذي وضع للولايات جعل لكل ولاية مجلسان، فالأول يتمثل في مجلس الإدارة في حاضرة الولاية، ولدى كل مراكزه الأولى والأقضية، وترتب عليه الاجتماع في أيام

¹ عبد العزيز العظمة، المرجع السابق ص 185.

² عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 67.

³ الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288، 1916، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2002، ص 156.

محددة، ويقوم بدور إصلاح، وشمل هذا النظر في إصلاح الطرق، وتلزييم العشائر، وإدارة المدارس... وأمور أخرى شملت التنظيم والإصلاح الأمور الداخلية، وأما الثاني، فهو المجلس العمومي الذي يقوم باجتماع مرة في السنة بحاضرة الولاية وحدها، بحيث يقوم بالبحث في ميزانية الولاية، وذلك بوضع خطط تشمل الإصلاح، إضافة إلى المجلس البلدي المكلف بتنظيم كل بلدة على حدى، ويعتبر هذا المجلس كتكوين لموظفين، فخين يمتنون ويكسبون مهارة الأمور الإدارية، تصبح لديهم القدرة على تولية مناصب أخرى، ويمتلكون النضوج السياسي لتولية الحكم.¹

وكان الهدف من هذا التنظيم هو ربط الإدارات الفرعية بالولاية، واتصال الولاية عن طريق الوالي بالسلطة المركزية، وبالتالي تضمن الحكم المركزي في إدارة الولايات.² والخاصة من وضع هذا القانون، هو الردع لأصحاب المناصب الإدارية للولايات التابعة للدولة العثمانية، بهدف القضاء عل مظاهر الفساد، وخلق الرقابة لكافة الأعضاء المكلفين بإدارة الولاية، والخضوع إلى مركزية الحكم.³

¹ عبد العزيز العظمة، المرجع السابق، ص 180.

² عبد العزيز سلمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968، ص 356.

³ إكمال الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص ص 347، 348.

المبحث الثالث: دمشق في عهد السلطان عبد الحميد¹ 1876-1908

يعتبر السلطان عبد الحميد من بين السلاطين الذين حكموا الدولة العثمانية، وفي فترته شهدت دمشق الكثير من الحوادث، والتغيرات التي كان لها تأثير على الدمشقيين.

المطلب الأول: الدستور 1876.

مباشرة بعد توليته الحكم أعلن الدستور في 23 ديسمبر 1876 كان بمثابة برلمان يتكون من مجلسين، فالأول مجلس النواب (المبعوثان) ويتكون من مائتان وخمسة وأربعون عضوا يتم انتخابهم من جميع الولايات التي يرتبطون بالسلطة، ومجلس الأعيان (الشيخ) ويتكون من أربعين عضوا يقوم بتعيينهم السلطان²، ويطبق هذا الدستور على جميع الولايات، كما نص على فصل السلطات، وضمان حرية الأعضاء في البرلمان، ووضع الدستور موضع التنفيذ، وجرى انتخابات، وكانت نتائجها، حصول المسلمين على 71 مقعدا، والنصارى 44 مقعدا، واليهود 04 مقاعد³، شمل الدستور مائة وتسع عشر مادة، وجرى تطبيقها بعد إعلانه مباشرة، وبرز فيه هو كذلك مبدأ المساواة عين مدحت باشا بعد صدوره بأربعة أيام.

ومن بين الإجراءات التي عملت بها كذلك، أنه أوقف عمل مجلس المبعوثان وكان في 1879، وشرع في المركزية الإدارية للولايات، وأصبح بذلك الوالي موظفا من قبل السلطان وتقييد صلاحياته العسكرية والمالية، وتبعها تقسيم الولايات إلى سناجق، والمصرفية إلى أقضية والأقضية إلى ناهي، والناحي إلى وحدة إدارية صغرى،⁴ فمثلا نجدها قد فصلت بيروت على سوريا عام 1887، وذلك لاتساع سورية نظرا لاتحادها بمدينة دمشق.⁵

¹ ولد سنة 1842، وحكم الدولة لمدة 33 عاما، إذ يعتبر من أكثر السلاطين مدة في الحكم، ورقمه الرابع وثلاثون من رتبة الحكام الذين كان لهم نصيب في ممارسة السياسة لدى الباب العالي، وكان له احتكاك مع الرؤساء منذ صباه. (ينظر: عبد الله أحمد مصطفى، المرجع السابق، ص 135).

² نزار فازان، أحداث ومشاهير عالمية، سلاطين بني عثمان بين فتنة الاخوة وفتنة الإنكشارية، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992، ص 72.

³ علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 404.

⁴ عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 73، 77.

⁵ نفسه، ص 54.

وفي هذا الصدى كتب مدحت باشا: "لم يكن غرضنا من الإعلان القانون الاساسي إلا محو الاستبداد... وتعيين وظائف الوكلاء ومسؤولياتهم وتأمين جميع الناس على حريتهم حتى ترتقي البلاد في معارج الارتقاء"¹، بحيث قسم هذا الدستور إلى إثني عشر قسماً يضم 119 مادة، وكان تأثير الدستور الفرنسي والبلجيكي وكذلك الأمريكي بدا واضحاً في الدستور الحميدي، وأما عن أقسامه فهي كالتالي:

القسم الأول: خاص بالدولة العثمانية، حيث تقرر بأن دينها هو الإسلام، وتطرقة إلى ما يترتب عليه من حقوق وما يقوم به من الواجبات، وخصص له في المساجد مكانة بحيث يقوم المصلون بالدعاء له.

القسم الثاني: تناول الحقوق التي يتمتع بها الرعايا، إذ يؤكد على مبدأ المساواة امام القانون، والرجوع إلى ديانتهم.

القسم الثالث: وذلك ابتداء من المادة السابعة والعشرين إلى المادة الثامنة والثلاثين، ويخص على مبدأ تنظيم المسؤولين في الدولة، وفي مقدمتهم الصدر الأعظم وشيخ الإسلام.

القسم الرابع: شمل المواد من 39 إلى 41، نصت على عزل وتثبيت المأمورين.

القسم الخامس: بداية من المادة 42 إلى المادة 59، وشمل ذلك أوضاع المجلسين الأعيان والمبعوثان.

القسم السادس: وذلك من المادة 60 إلى المادة 64 إذ شمل ذلك طبيعة نظام الحكم، من أعضاء الهيئة وطريقة انتخابهم.

القسم السابع: من المادة 65 إلى المادة 80 إذ نجد فيه معلومات لمجلس أو لهيئة المبعوثان، وذلك بما يجري فيها من أعضاء الهيئة، وكيف ينتخبون، وفيما تمثلت شروط عضويتهم، وكيفية سير عمل الهيئة.²

¹روحي الخالدي، الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص32.

² القانون الاساسي، مطبعة الآداب، بيروت، 1908، صص 04، 20.

القسم الثامن: يخص الجانب القضائي وكيفية عمل المحكمات، والقضاة، وهذا ما في المواد من المادة 81 إلى المادة 90.¹

القسم التاسع: فيه مهام الديوان العالي واختصاصاته وذلك طبقا من المواد 92 إلى المادة 95.

القسم العاشر: ويخص ميزانية الدولة وفقا للمواد 96 إلى المادة 107.

القسم الحادي عشر: كل ما يمس النظام الإداري في الولايات، وذلك ما نجده في المواد من المادة 108 إلى المادة 112.

وفي القسم الأخير والذي شمل المواد من 113 إلى المادة 119 إذ نجده مختلفا عن الأقسام الأخرى، وفيه إلزامية التعليم، وتعديل الدستور. إلى الأمور التي يجب النظر فيها.²

دام هذا الدستور سنة وشهر وأحد وواحد وعشرون يوما، في فترة المشروطية الأولى أو فترة الديمقراطية، وعطل يوم 13 فيفري 1878 من طرف السلطان بعد إدراكه لنوايا الدول الأوروبية من خلال رعاياها في التدخل للشؤون الداخلية للدولة، ولاتخاذ الإجراءات المناسبة لذلك، لكي تضمن الأمن والاستقرار الداخلي للدولة، وللولايات التابعة لحكمها.³

يمكننا أن نلخص ما جاء في المشروطية، بأنها ساوت بين الجميع، بحيث أصبح الجميع يتمتعون بصفة أنهم عثمانيين، واعتبار بأن الإسلام هو دين الدولة، وسمح للطوائف بممارسة شعائرهم الدينية، وبرزت اللغة العثمانية كلغة ثانية، وعمم القانون لكافة الطوائف وعدم التفريق بينهم سواء من ناحية الحقوق أو الواجبات، ومست هاته القوانين كذلك الجانب القضائي، والديني، والتعليم.

وفتحت مناصب عدة امام جميع الرعايا سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، وذلك حسب تكوينهم وتعليمهم، ولم تغلق ابواب التوظيف امام الدمشقيين فهم كذلك كانت لهم مناصب الإدارية وذلك حسب درجة تعليمهم.

¹ القانون الأساسي، المرجع السابق، ص ص 04-20.

² نفسه، ص ص 04-22.

³ يلماز اوزتونا، المرجع السابق، ص 116.

المطلب الثاني: مشاريع الدولة العثمانية في ولاية دمشق خلال القرن التاسع عشر.

01- مشروع سكة الحديد دمشق -بيروت

جاء عزلتو بشارة أفندي بفكرة إنشاء سكة حديد في سورية بحيث تربط بين بيروت ودمشق، والذي بلغ طولها حوالي 147 كلم، وقدر المبلغ لإنشائها بثلاثة وعشرون فرنكا منحت الحكومة العثمانية امتياز لإنشاء هذا الخط إلى يوسف أفندي مطران، وكان هذا في 1890 لكنه فشل وسقط حقه في الامتياز، رغم إعطائه الأراضي مجانا وإعفاءه من جميع مواد البناء اللازمة.

أما عن التأسيس الرسمي وواضح سنة 1892، وتم التوسيع للمحطات، وتعدى ذلك حمص، حلب...، وبعدها أنشأت 26 محطة على طول الخط الذي ربط بين بيروت ودمشق وقد ساعد ظهور هذه السكة، في إيجاد أعمالا للعاطلين على العمل، وذلك عن طريق تنقلهم عبر هذه السكة، وإيجاد العمل المناسب لهم، وتم تحويل دمشق إلى مركز سياحي وأساسي مما ساهم ذلك في تنشيط الحركة الاقتصادية.¹

02- الخط الحجازي

إضافة إلى ذلك سكة حديد دمشق والمدينة المنورة، التي أشرف عليها المشير كاظم في دمشق، تم انجاز هذا العمل من طرف الإعانات التي جاءت من العرب جميعا لتدعيم هذا المشروع وذلك ضمن الإطار الذي عمل من أجله السلطان عبد الحميد الثاني، وهو إدارة التخطيط السياسي والعمراني، هذا الإنجاز كان له مدلول سياسي واقتصادي وعسكري ويشمل هذا للتعبير عن مدى قوة الدولة واتحادها، وقد عُمل هكذا مشروع للتسهيل من عملية التنقل التي كانت تدوم أيام كثيرة للوصول إلى منطقة معينة، والحرص على أمن الدولة وحمايتها من المخاطر التي كانت تترصد لها، لذلك نجدها قد ربطت بين الولايات لتمكين

¹ثعبان حسب الله علوان الشمري، "الخط الحجازي، سكة حديد دمشق، المدينة المنورة، (دراسة تاريخية)"، مجلة ملية التربية الأساسية، مج19، ع79، ص446.

السيطرة ومعرفة ما يدور فيها من اوضاع. ويعود ذلك اليها من الناحية الايجابية من حيث المردود، واختزال الجهد والوقت.¹

كما كانت هناك أيادي عملية أخرى ساهمت في هذا الإنجاز لمشروع سكة الحديد، والتي تمثلت في المهندسين الألمان الذين ساهموا في بناء هذا المشروع، وخلال هذه الفترة كان هناك انتعاشا بعد تعيين مدحت باشا واليا على دمشق، لأن سورية قد كسبت رؤوس أموال أجنبية لا سيما منها الفرنسية.²

إذا فإن السلطان عبد الحميد الثاني، كان من الذين سعوا إلى تنظيم الجهاز الإداري في كافة الولايات، لكي يضمن حمايتها واستقرارها ومركزيتها للسلطة، وهذا كله بدا بعدما رسم التوجهات السياسية التي انعكست عليها بالإيجاب.

¹فدوى نصيرات، المرجع السابق، ص ص125 - 133.

²ثعبان حسب الله علوان الشمري، المرجع السابق، ص446.

ملخص الفصل:

شهدت دمشق الكثير من المحطات السياسية من بينها الفترة الممتدة ما بين 1839/1792 والتي اعتلى عرشها سليم الثالث 1808/1789، تمثلت في ظهور الكثير من الأسرات والبالغ عددها سبع، أبرزها أسرة آل عظم التي حافظت على الأمن في المدينة ولم تشهد فيها أي حروب أو ثورات إلا بعد 1808، وظهر أحمد الجزار الذي تميز حكمه بالعنف والقتل، لكنه حارب الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت سنة 1799 وحد من زحفها نحو بلاد الشام، كان للسلطان سليم الثالث العديد من الإصلاحات التي لم يستطع تطبيقها، بسبب وفاته 1808، لكن السلطان محمود الثاني أكمل ما جاء به السلطان سليم الثالث وخاصة إدخال الإصلاحات الغربية في المجال العسكري، وهذا من أجل الحفاظ على بقاء الدولة العثمانية.

والمميز في دمشق أنها كانت مقر لقافلة الحج الشامي التي يشرف عليها الوالي، ويقوم بتنصيب وظائف أخرى لضمان سير الحج، وتساعد على النمو الاقتصادي من خلال الأرباح التي تجنى من التجارة، إضافة إلى ذلك الواقعة الخيرية 1826 التي تقرر فيها القضاء على جيش الإنكشارية كي تحافظ الدولة على أمنها، وإنشاء نظام جيش جديد، وتقليد الغرب.

في سنة 1831 شهدت دمشق ثورة قام بها السكان ضد الوالي، وهذا لكونه فرض ضرائب باهظة على السكان وأجبرهم على دفعها، لكنهم ثاروا عليه، رافضين الظلم والجور، وقاموا بقتله، وفي السنة نفسها كانت فترة الحكم المصري 1840/1831 حيث شن محمد علي باشا حملات توسعية، لأنه رأى فيها أنها الحامي الوحيد ضد الأخطار الأجنبية، وهذه الحملة قادها ابنه إبراهيم باشا وحقت نجاحات عدة وصل من خلالها إلى الأناضول لولا تدخل الدول الأوروبية.

كما كانت هناك أيادي ساهمت في إنجاز مشروع سكة الحديد، والتي تمثلت في المهندسين الألمان، وحدث انتعاش اقتصادي بعد تعيين مدحت باشا واليا على دمشق، لأن سوريا قد كسبت رؤوس أموال أجنبية لا سيما منها الفرنسية.

الفصل الثاني: الواقع الثقافي لدمشق خلال القرن التاسع عشر.

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية في دمشق قبل عصر التنظيمات

العثمانية.

المبحث الثاني: التعليم في فترة الإصلاحات العثمانية.

المبحث الثالث: التراث الثقافي لدمشق خلال القرن التاسع عشر.

اتسم الواقع الثقافي لدمشق بالإبداع والتميز ويعد جانبا مهما في دراسة تاريخ المدينة حيث يسعى لإبراز البعد التاريخي لها، حيث تعتبر مدينة دمشق من إحدى أقدم المدن في العالم وأعرقها ومن أهم المدن الثقافية والحضارية في الوطن العربي لأنها تعتبر مركزا ثقافيا يجمع بين مختلف الحضارات حول العالم، لمرورها بتأثيرات متعددة بدءًا بالعصر الروماني والإغريقي وصولا للعصر العثماني، مما جعل هذه التأثيرات المختلفة تشكل مزيجا متنوعا وفريدا من العمارة والفن، وقد كان يطلق عليها بشام شريف وباب الكعبة وأيضا ببستان الجنة وغيرها من الصفات لتميزها بمعالم دينية وثقافية جعل منها مدينة سياحية بإمتياز.

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية في دمشق قبل عصر التنظيمات العثمانية

كانت دمشق قبل العصر العثماني تحت حكم العديد من الدول الإسلامية، وخلال هذه الفترة تأسست العديد من المؤسسات التعليمية المختلفة والتي كان لها دور في نشر العلم والمعرفة وكان جلها مدارس إسلامية تدعو لحفظ القرآن والتعليم الديني الحر والذي كان يشمل الفقه وعلم الحديث، وأيضا الفلسفة والحساب وبعض الفنون، وتتمثل هذه المؤسسات التعليمية في الكتاتيب والزوايا والمدارس.

وتعتبر المؤسسات التعليمية، مراكز حضارية تعكس إزدهار التعليمي الحر في دمشق عبر العصور الإسلامية المتعددة من العصر المملوكي، العصر الأموي والعصر العباسي.

المطلب الأول: الكتاتيب

المعروف أن الكتاتيب هي تلك المنشآت أو المراكز للتعليم الأساسي ويتم فيها تحفيظ وتعليم القرآن للصغار¹، وعادة ما كانت تقام الكتاتيب في دمشق بالقرب من المساجد، أو تكون في المساجد بالذات أو في الزوايا أو في منزل المعلم أو الامام، وقد كان يطلق على المعلم في الكتاب لقب الشيخ أو المؤدب². وكانت في بعض الأحيان تتولى معلمة التدريس فيها وكانت تسمى المعلمة ب"خجا"³.

وتعتبر الكتاتيب من المدارس الغير رسمية التي أنشئت في دمشق وقد كانت الكتاتيب تسمى بالدور وقسمت إلى ثلاثة أقسام :

دور القرآن: وهي الدور المخصصة لتلاوة وتعليم القرآن الكريم أما دور الحديث فقد أعدت خصيصا للخطباء ومدرسي علم الحديث، ودور الفقه فكانت بطبيعة الحال لتدريس الفقه⁴.

¹ مبروك بهي الدين الدعدر، الكتاتيب نشأتها وانماطها في تعلم القرآن الكريم، مركز التفسير للدراسات القرآنية، ص 10 ص 11.

² اليافي عبد الكريم، التعليم في بلاد الشام في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مجلة اتحاد الكتاب العرب، ع 45 أكتوبر 1991، ص 13.

³ خجا أو الخوجة: وهو لفظ يطلق على المعلمة أو المدرسة. ينظر: محمود عامر، "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع 117_118، دمشق، كانون الثاني 2013م، ص 373.

⁴ محمد إبراهيم الحوراني، التعليم في ولاية دمشق في العصر العثماني، الهيئة العامة السورية، دمشق، 2015، ص 180.

وكان التعليم في الكتاتيب مقسوما على مرحلتين:

المرحلة الأولى تكون بتلقين الأطفال حروف الهجاء ومفرداتها وأشكالها، وتكون أيضا بتحسين الخط وتعلم القراءة وجزءا من الحساب، أما المرحلة الثانية فقد كانت تتم بتدريس القرآن والحديث للطلاب وأيضا كتب التراجم والفقه، ودراسة الصحيحين البخاري ومسلم وكتب التفسير كالبيضاوي.¹

ويتقاضى الشيخ عادة أجرا أسبوعيا بسيطا يقبضه كل يوم خميس ولهذا فقد سمي أجره "بالخميسية"، في المدن يبدأ التلاميذ بالذهاب إلى الكتاتيب في سن الرابعة في مختلف فصول السنة أما في الريف فكان الأولاد يذهبون للكتاتيب في سن أكبر حيث يكون في سن السادسة أو السابعة، ويستمر التدريس إلى فصل الشتاء وهذا عندما لا يكون الأهل في حاجة إلى أولادهم في الأعمال الزراعية، والتلاميذ في الكتاتيب يعلم بعضهم، وذلك بتعليم كبارهم صغارهم، بحيث يكون في الكتاب عريف وهو أكبر التلاميذ سناً وأمهرهم من ناحية الدراسة، والعرفاء يشرفون على بقية التلاميذ تحت رعاية الشيخ.²

والتعليم في الكتاتيب عموما يكون مجانيا ومفروض على الصغار، ويبدأ بمراحل مبكرة من العمر والتعليم في الكتاتيب كان يغلب عليه الطابع الديني الحر وأغلب الكتاتيب كانت تقوم بتلقين القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الزوايا

تعتبر الزوايا من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر التعليم في المجتمع الدمشقي فقد كانت تعتبر مركزا مهما من مراكز التعليم.

مفهوم الزوايا:

¹ يوسف جميل نعيسة، مجتمع مدينة دمشق (1772_1840م)، دار طلاس، ج02، دمشق، 1986، ص388.

² اليافي عبد الكريم، المرجع السابق، ص14.

لغة: الزاوية في الأصل مأخوذة من كلمة انزواء ويقصد بها العكوف على العبادة أو على تلقي العلم، إلا أنه اليوم يعني مراكز تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أصول الدين الإسلامي وهي في الأصل تعني ركن البناء.¹

اصطلاحاً: هي مكان معد للعبادة، وتكون عبارة عن مجتمعات من البيوت والمنازل المختلفة شكلاً وحجماً وتكون بيوتاً للصلاة وغرفاً لتحفيظ القرآن الكريم وأخرى تكون مثابة سكن للطلبة ويتم فيها طهي الطعام.²

سعى شيوخ الطرق الصوفية إلى الجاه الاجتماعي من خلال التقرب من عامة السكان وتوطيد الصلة بهم، وهذا جعل الزوايا تنتشر بانتشار الطرق الصوفية، فقد كانت لبعض الطرق الصوفية أكثر من زاوية في دمشق، وكانت في حالة نشاط دائم، يرتادها الطلبة باستمرار وحتى الزائرون³، لقد كان الطلاب يقصدون الزوايا ليشهدوا حلقات الدروس أو المعروفة بحلقات العلوم الشرعية، ويكون لكل غرفة معلم يتولاها ويلقي دروسه فيها.⁴

من أهم الطرق التي انتشرت في أرجاء مدينة دمشق نرصد **الطريقة النقشبندية**⁵ لصلتها بالسلطة العليا في اسطنبول، ولم تظهر أهميتها في المجتمع الدمشقي إلا أواخر القرن الثامن عشر على يد آل مرادي⁶، ومن أبرز النقشبنديين في دمشق محمد خليل المرادي والذي كان له العديد من المؤلفات وكان على صلة بالسلطة العليا باسطنبول، وهذا دليل على نفوذ النقشبنديين الدمشقيين في اسطنبول.⁷

¹ شهبي عبد العزيز، الزوايا الصوفية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دارالقرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص13.

² يحيى عبد العزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، (د.ت.ن)، ص19.

³ يوسف جميل نعيمة، مجتمع مدينة دمشق (1772م_1840م)، دار الطلاس، ج01، ط01، دمشق، 1986، ص165.

⁴ اليافي عبد الكريم، المرجع السابق ص16.

⁵ الطريقة النقشبندية: وهي اسم فارسي، وهي كلمة مؤلفة من جزئين الأول يعني النقش أي الطابع إذا طبع به على شمع والجزء الثاني فيعني بند أي ربط وبقاء من غير محو، فالكلمة تشير الى تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه، (ينظر: محمد أحمد درنيقة، الطريقة النقشبندية وأعلامها، دار جروس برس (د.ب.ن) 1992، ص11)

⁶ آل مرادي: أول من استقر في دمشق من أسلاف آل مرادي، جدهم محمد مراد البخاري وهو رجل جاب البلاد ثم أقام بدمشق، تعلم وتلمذ بها وقد اشتهر بنجاحه في نشر الطريقة النقشبندية في بلاد الشام.(ينظر: ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دار الجمهورية، دمشق، 1998، ص194)

⁷ نعيمة يوسف جميل، المرجع السابق، ص410.

وكان للطريقة النقشبندية عدة زوايا في دمشق وخارجها، ومن بين أبرز الزوايا تقع قرب منزل آل مرادي في سوق صاروجة.¹ وتعود أقدم زاوية نقشبندية إلى محمد مراد الخاري بإعتباره أول من نشر الطريقة النقشبندية في دمشق عام 1670 ميلادي، حيث قد بنى منزل في صاروجة ثم جامعا ومدرسة تحمل اسم الطريقة النقشبندية البرانية ثم ابتاع خانا كبيرا وسط دمشق، وحوله إلى زاوية ذات اسم الطريقة النقشبندية الجوانية²، ليسارع العلماء والموظفين لأخذ الطريقة وليتم تداولها من قبل الناس، وكان لهذه الطريقة العديد من الزوايا نذكر منها الزاوية الهندية والزاوية النجارية النقشية.³

الطريقة الخلوتية:

هي الأخرى ذات أهمية في دمشق، لكونها تضم أتباع كثيرين من الطبقة الحاكمة في دمشق وتركيا، وكانت لهذه الطريقة زاوية وتكية قرب باب الله خارج دمشق، والذي قد أنشئها أحمد باشا، وكان لها زاوية قرب باب جيرون قرب الجامع الأموي كانوا يقيمون فيها الذكر، وقد كانت الطريقة الخلوتية في دمشق تنقسم إلى فئتين، الأولى قد أطلق عليها اسم الفئة المدرسية أما الفئة الثانية قد أطلق عليها اسم الفئة التجريبية، وتعتبر هاتين الفئتين الأهم وهذا لأن معظم فئات السلطة الحاكمة في دمشق كانت تضمها.⁴

الطريقة الشاذلية:

دخلت الطريقة الشاذلية إلى دمشق على يد الشيخ محمد بن أحمد سنة 1685 أحد شيوخ الطريقة الشاذلية، فدخل فيها عددا من علماء دمشق. استمر نشاط هذا الفرع الشاذلي حتى بداية القرن العشرين، ومركزها كان في الجامع الأموي⁵ ومن أهم الزوايا الطريقة الشاذلية: **الزاوية الوطية:** وتقع في شمال جامع شراح بالشاغور البرني نسبة للإبن وطية وعرفت بزاوية المغاربة وذلك لأختلاف أقطارها (الجزائريون، المراكشيون، الفاسيون والسوسيون).

¹ نعيصة يوسف جميل، المرجع السابق، ص411.

² محمد نعيصة، "الصوفية في دمشق بين الطريقة والسياسة"، المجلة السورية للعلوم الإنسانية، ع 13_14، ديسمبر 2020، ص167.

³ نعيصة يوسف جميل، المرجع السابق، ج01، ص411.

⁴ نفسه، ص416.

⁵ نعيصة يوسف جميل، المرجع السابق، ج02، ص161.

الزاوية الحصنية: والتي تقع في حي شاغور البراني أوقفها الشيخ تقي الدين بن بكر المشهور بالحصني قرب بيته وكان يقوم فيها الأذكار والأوراد.¹

الزاوية الغزالية: وهي زاوية تقع في الشمال الغربي من الجامع الأموي ومشهد عثمان وسميت نسبة إلى الغزالي ودرس فيها الشيخ نصر المقدسي تلاميذه.²

الطريقة المولوية:

إحدى الطرق الصوفية التي تنتشر بشكل خاص في تركيا وسوريا، وتنسب إلى جلال الدين الرومي، وتشتهر هذه الطريقة بالرقص الدائري والغناء وكان لها زاوية تقع غرب الجامع وتدعى الزاوية المولوية وكان شيخا عليها محمد صلاح الأفندي.³

المطلب الثالث: المدارس

قبل التنظيمات العثمانية وجدت العديد من المدارس التقليدية، بنيت بجهود فردية من قبل شخصيات قد تولت مناصب في السلطة، وكان جلها منسوباً إلى المذاهب الإسلامية ومن أبرزها:

1_ مدارس الحنابلة:

لم ترتبط مدارس الحنابلة بالدولة، لكنها تعود إلى زمن الأيوبيين والمماليك.⁴ وكان لهم العديد من المدارس وأبرزها:

المدرسة العمرية: والتي كانت على سفوح جبل قاسيون بصالحية بدمشق، أنشأها الشيخ أبو عمر⁵، وقد درس فيها القرآن والفقه وتوالى عليها عدد كبير من الخطباء والمدرسين، وكانت

¹نعيسة يوسف جميل، المرجع السابق، ج02، ص166.

²عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، تر: إبراهيم شمس الدين، دارالكتب العلمية، ج01، لبنان، 1990، ص113.

³نعيسة يوسف جميل، المرجع السابق، ج02، ص167.

⁴إبراهيم محمد الحوراني، المرجع السابق، ص55.

⁵عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عُمَر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي الامام الزاهد ولد سنة 1200م في دمشق وتوفي بها صاحب المدرسة العمرية في الصالحية بدمشق، (ينظر: نبيلة قوصي، الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة. متاح على الرابط: <https://naseemalsham.com/subjects/view/35951#>)

تتكون من عدة طوابق، ولا تزال تحتفظ بهيئتها في الطابق الأرضي، غير أن بقية الطوابق قد تهدمت.¹

المدرسة الصاحبة: وتعود هذه المدرسة إلى عهد صلاح الدين الأيوبي، فقد تم انشائها من قبل ربيعة خاتون² سنة 628 هـ/1233م، في منطقة الصاحية بدمشق على سفوح جبل قاسيون والمدرسة ذات شكل مستطيلي يتم الدخول إليها من الشمال وتمتعت واجهتها بجمالية ناعمة في أغلبها من الحجر الكلسي، وماتزال المدرسة الصاحبة من بين المدارس التي تم بناؤها في منطقة الصاحية قيد الإستعمال لليوم.³

المدرسة الجوزية: بنيت هذه المدرسة، من طرف محيي الدين بن جمال سنة 1164م و580هـ، وقد كانت في بادئ الأمر تابعة لجمعية خيرية مهمتها تعليم الأولاد الأيتام والفقراء، كانت تعلمهم القرآن الكريم والخط والحساب الذهني، وقد تعرضت هذه المدرسة لحريق سنة 1860م، دمرها بالكامل.⁴ فأعاد عمارتها القاضي شمس الدين النابلسي، وتعتبر أعظم مدرسة بعد المدرسة العمرية بالصاحية، ونسبت إلى محيي الدين الجوزي فعرفت باسم المنشي.⁵

2_ المدارس المالكية:

تعد مدارس المالكية من أقل المدارس شيوعاً في دمشق ويرجع ذلك لقلة أنصار هذا المذهب في دمشق، مقارنة بمناطق المغرب العربي التي تعد من أكثر المناطق اتباعاً للمذهب المالكي، وتعد المدرسة المالكية التي قد بنيت بمحلة البيمارستان النوري كان عدد

¹ محمد ياسين السواس، فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق، منشورات معهد المخطوطات

العربية المنظمة العربية للتربية والفنون، الكويت، 1987 م، ص 10

² بنت نجم الدين أيوب بن شادي ولدت سنة 1166م، كانت زوجة الأمير مسعود بن معين الدين حاكم دمشق، أخت صلاح الدين الأيوبي، قامت ببناء المدرسة الصاحبية الحنبلية، توفيت سنة 1245م في دمشق، (ينظر: عمر أحمد رضا، اسهام المرأة في المجال العمراني و الثقافي في العصر الأيوبي، مجلة العمارة والفنون، ع1، 2016، ص17)

³ معاذ عبدالرزاق، المدرسة الصاحبة، [https://islamic.art. Museumwfnfhpps://](https://www.museumwfnfhpps://islamic.art) تاريخ الدخول: 2023_01_01 على الساعة 20 و56د.

⁴ إبراهيم محمد الحوراني، المرجع السابق، ص59.

⁵ جمال كبريت، الجوزية (المدرسة)، الموسوعة العربية للأثار في سورية، م05، سوريا، (د.ت.ن)، ص28.

طلابها قليل وتعتبر هذه المدرسة الأولى للمالكين ولم تحظى بسمعة حسنة نظرا لقلّة طلابها مقارنة بمدارس المذاهب الأخرى.¹

3_مدارس الحنفية: كان للمذهب الحنفي العديد من المدارس وقد لقيت هذه إهتمام الدولة العثمانية وقد وجدت لها عدة مدارس من أبرزها:

المدرسة النورية الكبرى: أنشأها الملك نوردين محمود ابن الزنكي بن آقسنقر سنة 563هـ، 1167م، وهي جزء من دار هشام بن عبد الملك بن مروان، والتي كانت قديما دار معاوية ابن ابي سفيانوقد درست علم الحديث والفقّه والخط والقرآن الكريم والحساب.²

المدرسة الريحانية: وبنيت من طرف ريحان الطوشي خادم نور الدين ابن الزنكي سنة 565هـ، 1169م وقد بنيت بجانب النورية، وكان يتم تدريس الصبيان مجانا، كما تولى الشيخ النقشبندي إدارتها تطوعا.³

المدرسة المرشدية: وقد بنيت على نهريزيد بن معاوية جوار دار الحديث الأشرفية أنشئتها بنت الملك شرف الدين ابن الملك العادل خديجة خاتون سنة 654هـ وقد تم تخصيصها لتعليم الحديث.⁴

المدرسة الجقمقية: بناها سنجر الهلال سنة 761هـ، 1359م، شمال الجامع الأموي وقد خصص فيها قسم للأيتام والفقراء وتم إعادة ترميمها في العصر العثماني في القرن 19 وحولت إلى مدرسة رشدية.⁵

¹ محمد إبراهيم الحوراني، المرجع السابق، ص60.

² عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، المصدر السابق، ص466.

³ محمد إبراهيم الحوراني، المرجع السابق، ص60.

⁴ عبد القادر بن محمد النعيمي، المصدر السابق، ص443.

⁵ محمد إبراهيم الحوراني، المرجع السابق، ص61.

المبحث الثاني: التعليم في فترة الإصلاحات العثمانية

في فترة التنظيمات العثمانية، شهدت مدينة دمشق مجموعة من التغيرات في جميع المجالات وخصوصاً التعليم، فقد تم تطوير وتحسين التعليم من خلال تحديث نظام التدريس وإدخال بعض الإصلاحات لمواكبة التطورات الحديثة في العالم، فقد عمل كل سلطان على تحديث التعليم عبر تأسيس المدارس الحكومية وتوفير التعليم المجاني للطلاب على مستويات مختلفة (الإبتدائي، الثانوي، الإعدادي، العالي)، وكانت هذه المدارس تستهدف لطلاب الأتراك منهم والعرب، بتقديم دروس في مختلف المواد العلمية منها والأدبية، وهذه الإصلاحات كانت نقلة في تاريخ دمشق.

المطلب الأول: التعليم في عهد السلطان محمود الثاني (1808_1839م)

شهدت دمشق في فترة حكم السلطان محمود الثاني تطوراً نسبياً في الجانب التعليمي حيث قام سلطان محمود الثاني بتعزيز الجهود في تطوير التعليم والمؤسسات التعليمية، فقد عمل على إنشاء عدد من المدارس والمؤسسات التعليمية بدمشق وتأسيس المدارس القرآنية وتطوير أساليبها، ناهيك عن توفير معلمين مؤهلين لتدريس اللغة العربية والحساب، كما تم توسيع نطاق وصول التعليم لشرائح مختلفة من المجتمع، إلا أن التعليم في هذه الفترة لا يزال في مراحله المبكرة.

بعد الجمود الذي قام به أسلافه من السلاطين في إصلاح التعليم وخاصة السلطان سليم الثالث، حيث تجرأ على إنشاء جيش إلى جانب الجيش الانكشاري إلا أنه قد تم إسقاطه سريعاً.¹ والتعليم في فترة السلطان محمود الثاني من الميادين التي قد أولى بها السلطان اهتماماً خاصاً، فقد عمل على إجبارية التعليم والعمل على تطوير المؤسسات التعليمية، من خلال إصدار فرمان² 1824م.³

¹ محمد إبراهيم الحوراني، المرجع السابق، ص42.

² وهو مرسوم أو قرار يصدر بخط السلطان أو توقيعه، (ينظر: محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، ع117_118، دمشق، كانون الثاني 2013م، ص373).

³ عفاف البشير، الإصلاحات العثمانية وأثرها في تعليم الفتيات في العصر العثماني (1835_1911)، دراسة تاريخية وثائقية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزاوية، طرابلس، ص453.

وقد أمر السلطان بتنشأة معلمي المدارس الابتدائية عبر تأسيس "مدارس رشدية" ليتكونوا بها وأخرى فنية لتكوين وتنشأة الموظفين،¹ وهذا لإيمانه بحركة التجديدي في الميدان المعرفي وخصوصا التعليم، وتطوير المؤسسات الدينية التي كانت تتبع النظام القديم في التعليم وتطوير المؤسسات العدلية كان بدءا من الحقوق و القوانين تناسب الجميع، وقد لجأ إلى عديد من العلماء في تخصصات متعددة لتنفيذ إصلاحاته في المجال التعليمي تفاديا للمعارضة من عدة جهات.²

كان السلطان محمود الثاني قد هيا نفسه إلى للحصول على موافقة العلماء بغية تحديث الدولة وتطوير مؤسساتها، وقد كلف المؤسسات الإدارية التي تم إنشائها بغرض تحسين التعليم وبناء المدارس، وكان فرمان 1824 القاضي بأحقية ممارسة التعليم المجاني لجميع رعاياه، وكان بداية وتمهيدا لدخول التعليم بشكل رسمي في دمشق.³ وفي عام 1827 قد أرسل السلطان مايقارب 150 طالبا للدراسة في المعاهد العسكرية والبحرية غرب أوروبا وبعثات دراسية أخرى في مختلف دول العالم.⁴

تم إنشاء مدارس للأطفال والبالغين، فيدرس الأطفال في المدارس التقليدية ثم يتخرجوا منها ليدرسوا في المدارس الثانوية (المدارس الرشدية)، ويتم فيها تقديم دروس في عدة تخصصات وقد كانت المدارس قليلة والتعليم لم يكن مناسب دائما قبل عام 1839.⁵ هكذا سعى السلطان إلى تحرير نظام التعليم من المدارس الدينية، ودليل ذلك العمل على إنشاء وفتح مدارس جديدة في دمشق، والعمل على تطوير نظام تعليمي تربوي.⁶

أمر السلطان محمود الثاني بإصدار صحيفة "تقويم وقائع" سنة 1842، لتكون جريدة رسمية للدولة، وذلك على غرار جريدة "الوقائع المصرية" والتي أصدرها محمد علي باشا في

¹ سيد محمد سيد، دراسات في التاريخ العثماني، دار الصحة، مصر، 1996، ص 25.

² وليد صبحي، "إصلاح التعليم وفلسفته في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر قراءة في قوانين التنظيمات من عهد محمود الثاني إلى عهد عبد الحميد الثاني 1824_1876 م"، مجلة التربية، ع 146، نوفمبر 2011، ص 425.

³ محمد إبراهيم الحوراني، المرجع السابق، ص 43.

⁴ عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516_1922)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت.ن)، ص 271.

⁵ Robert Montran, *Histoire de l'Empire ottoman*, Librairie Artheme Fayard, Paris, 1989, P 56.

⁶ وليد صبحي، المرجع السابق، ص 426.

مصر، والتي وصلت لبلاد الشام عن طريق إبراهيم باشا، والتي قد نالت إعجاب المثقفين من بلاد الشام.¹

المطلب الثاني: التعليم في عهد السلطان عبد المجيد (1839_1861م)

شهدت مدينة دمشق في عهد السلطان عبد المجيد حركة إصلاح وتجديد في قطاع التعليم فقد تم أهتم بالتعليم الحديث وتطويره من خلال إصدار مرسوم خط الشريف كلخانة وخط الهمايوني وتوسع في التعليم عبر إنشاء مدارس للصبيان لمختلف الطوائف الدينية وكذلك الحرص على تطوير البرامج التعليمية في دمشق وتحسين جودة التدريس في المدارس الرشدية بإضافة بعض المواد، والتركيز على التعليم الأكاديمي الحكومي، فقد كانت هذه الفترة بداية المشعل الثقافي في المدينة.

بعد وفاة السلطان محمود الثاني، جاء السلطان عبد المجيد ليكمل ما تركه محمود الثاني حيث واصل الحركات الإصلاحية في عدة مجالات، وكانت من بينها إصلاح التعليم من خلال وضع قوانين وتنظيمات ويعتبر أول من أنشأ حركة الإصلاح والتجديد في القرن التاسع عشر.² فقد أصدر مرسوم خط الشريف كلخانة سنة 1839 م، وقد ركزت معظم بنوده على الحياة العلمية والتي من بينها "وعده في استمرارية الإصلاح القوانين والتنظيمات الإدارية والعسكرية والتعليمية".³

وهنا تم إضافة إلى مابده السلطان محمود الثاني من إصلاحات في عدة مجالاتوخصوصا التعليم، فقد تم فتح مدارس تضم طوائف مختلفة كالمسيحية واليهودية، مع وضع قوانين تضمن حقوق كل الطوائف والحفاظ على التعايش فيما بينهم.

تضمن فرمان كلخانة الاعتماد على التعليم التربوي الحديث والذي من شأنه التقليل من الدروس الدينية في المدارس من سبع ساعات إلى ساعتين، ركز السلطان عبد المجيد

¹ محمد أحمد، "الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني (1876_1918)", مجلة جامعة دمشق، ع 01 و 02، 2011، ص318.

² محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دارالتوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2001، ص376.

³ عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية السورية (1864_1914)، دار المعارف، مصر، (د.ت.ن)، ص21.

على إنشاء مدارس متخصصة لإعداد المعلمين واختيار المتفوقين منهم، ضمن معايير وهذا بغية اعداد جيل مؤهل، يساهم في بناء مستقبل مشرق للدولة.¹

وقد أعلن السلطان عبد المجيد خطأ آخر بعد انتصار الدولة العثمانية وحلفائها على روسيا سنة 1856 في حرب القرم، وقد سمي هذا الخط بخط الشريف الهمايوني أو بخط التنظيمات الخيرية، وأهم مانص عليه هذا الخط هو المساواة بين الطوائف المختلفة، وهذا ما جعل فترة السلطان عبد المجيد تتميز بتنوع المدارس التعليمية، حيث توجد مدارس إسلامية وأخرى مسيحية ويهودية، وهذا تطبيقاً لما جاء في خط الهمايوني على معاملة جميع رعايا الدولة معاملة متساوية، بدءاً من احترام دياناتهم وعقائدهم إلى مناصبهم ووظائفهم، فقد ضمن حرية الطوائف الغير إسلامية وجعلهم يمارسون التعليم في مدارسهم المخصصة لهم.²

ركز السلطان عبد المجيد على إنشاء مدارس متخصصة لإعداد المعلمين واختيار المتفوقين منهم، ضمن معايير وهذا بغية اعداد جيل مؤهل، يساهم في بناء مستقبل مشرق للدولة، وقد شهدت السنوات الأولى للخط الهمايوني توسعاً في التعليم، فقد أنشئت العديد من المدارس وكان الهدف من إنشائها تخريج ضباط عسكريين وموظفين يساهمون في تكوين الجهاز العسكري والجهاز الإداري.³

شهد التعليم في عهد عبد المجيد تغيراً، فقد كان مختلفاً عما سبقه من السلاطين، فقد عمل على تجديد التعليم وإنشاء المدارس ومنح امتيازات لكافة الطوائف وهذا جعل احصائيات المتعلمين تزداد، مما يجعل الدولة تعيد النظر في الإهتمام بالتعليم العالي إلا أنه في عهد عبد المجيد لم يؤخذ بشكل فعلي.⁴

¹ محمد إبراهيم الحوراني، المرجع السابق، ص 49 - 51.

² غالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1916_1288)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 02، الجزائر، 2011، ص 153.

³ عبدالعزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 33.

⁴ فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003، ص 372.

المطلب الثالث: التعليم في عهد السلطان عبد العزيز (1861_1876م)

خضعت دمشق في عهد السلطان عبد العزيز لتغيرات في مجال التعليم، فقد شهدت تحسنا ملحوظا في النظام التعليمي مما أسهم في تعزيز المستوى العام للتعليم في دمشق نتيجة لإصدار قوانين كقانون المعارف الذي خدم التعليم بشكل كبير وسعى لتطوير البنية التحتية للمدارس، من خلال تأسيس مدارس حكومية تعمل وفقا لقانون المعارف، وهنا كان يكمن اهتمام السلطان عبد العزيز فقد عمل أيضا على تعيين أساتذة ومعلمين مؤهلين وتوفير برامج دراسية شاملة تغطي مختلف المجالات الأكاديمية مع توسيع نطاق التعليم ليشمل المراحل الابتدائية والثانوية، مما أتاح للمتعلمين الحصول على تعليم جيد.

لم يتطور التعليم في فترة السلطان عبد العزيز بعد سنوات عهده الأولى، وذلك لأنه قد واجه متغيرات تفاقمت في السنوات الأخيرة من فترة حكم أخيه عبد المجيد، متغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية أقرتها الخطوط الهمايونية (خط الشريف كلخانة وخط الهمايوني) حيث عملت هذه القرارات على هدم الإسلام من خلال تشجيع الطوائف الغير مسلمة على ممارسة دينها وإنشاء المدارس¹، ناهيك عن التدهور في الأوضاع المالية بداية عهده نتيجة بعض الديون المتراكمة، وأيضا النفقات التي كانت تزيد من الدخول، إلا أنه في عام 1869 قد أصاب التعليم تقدما كبيرا²، وذلك لصدور قانون المعارف العمومية³ والذي ساهم في نشر المدارس في أرجاء دمشق والدولة بكاملها، حيث عمل السلطان عبد العزيز على منح مديرية المعارف أموالا لفتح مدارس، وقد بلغت المدارس التي فتحها السلطان عبد العزيز في دمشق حوالي 15 مدرسة إضافة لـ 20 مدرسة كانت سابقا، وقد تجاوز عدد المدرسين أربعمئة وثلاثة عشر مدرسا.⁴

¹ إبراهيم محمد الحوراني، المرجع السابق، ص74.

² مصطفى عبد الرحيم أحمد، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط2، مصر، 1986، ص217.

³ صدر قانون المعارف العمومية العثمانية عام 1869، والذي قسم المراحل التعليمية إلى ابتدائية ومتوسطة وعالية. (ينظر: الجبوري هيثم المحيي، "أثر الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر"، مجلة جامعة بابل، ع03، العراق، 2015، ص1450).

⁴ محمد إبراهيم الحوراني، المرجع السابق، ص78.

تم تقسيم المدارس إلى مدارس عمومية ومدارس خصوصية، مع مجانية التعليم لمدة أربع سنوات في المدارس الأولية أي الصبائية، وكانت للأولاد البنات بدون اختلاط في المدن والقرى، والمرحلة الثانية تسمى بالرشدية، تستمر فيها الدراسة لمدة أربع سنوات وتم افتتاحها في المدن الكبرى، والتي تعادل المرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية، وتمنح هذه المدارس شهادات للخريجين منها.¹

وقد تضمن قانون المعارف على تأسيس مدارس رشدية للمسيحيين وغيرهم من الأقليات الدينية، فقد جاء في المادة الثامنة عشر " يكون مكتب رشدية لكل قسبة تتجاوز أهاليها الخمسمائة بيت للإسلام فقد كانوا مسلمين صرفاً وللمسيحيين فقط اذا كانوا مسيحيين صرفاً...²، وجاء في المادة سبعة وعشرون على أن تكون المدارس للبنين والبنات من طائفة المسيحية والأقليات الأخرى " يكون في المدن الكبيرة مكتب رشدية للبنات المسلمات اذا كان أهاليها مسلمين صرفاً وللمسيحيات اذا كانوا مسيحيين صرفاً، أما اذا كانوا مختلطين فيعمل للبنات المسلمات مكتب وللبنات المسيحيات مكتب "³، أي أن السلطان عبد العزيز إهتم بتدريس الطوائف الأخرى الغير مسلمة من خلال تضمين قانون المعارف مواد تنص عن ذلك.

المطلب الرابع: التعليم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876_1909م)

لقد كان السلطان عبد الحميد الثاني مهتماً بالتعليم وتطويره في جميع إيالات الدولة العثمانية فقد كان عهده مختلفاً عما سبقه بحيث كان زاخراً بالإنجازات على جميع الأصعدة وخاصة في الجانب التعليمي، نظراً لإهتمامه وحرصه على التعليم وبناء المعاهد في وإنشاء مدارس لأطوار مختلفة بداية من التعليم الابتدائي إلى غاية التعليم العالي بالإضافة إلى إهتمامه بالتعليم الديني وتعزيزه بتوفير معلمين مؤهلين لتعليم القرآن والفقهاء.⁴

¹ مصطفى عبد الرحيم أحمد، المرجع السابق، ص 21.

² نعمة الله نوفل أفندي، الدستور، المطبعة الأدبية، مج 02، بيروت، 1889، ص 159.

³ نفسه، ص 160.

⁴ محمد الحوراني إبراهيم، المرجع السابق، ص 117.

وقد تميزت هذه المرحلة بالانتشار الواسع للتعليم وقد ركزت على جودة التعليم المقدم، وقد ظهرت إمتيازات في عهد عبد الحميد، ساهمت في زيادة حدة التنافس في إنشاء المدارس¹، لأن السلطان عبد الحميد قد خول مديريات المعارف باتخاذ القرارات والإجراءات التي تناسب كل ولاية على حدا أي أعطى لهم كامل الصلاحيات في التصرف، وذلك من خلال إصدار فرمان يقضي بإستقلالية مديرية المعارف سنة 1879.² كما أمر السلطان عبد الحميد سنة 1881 على تعيين مدير معارف لبعض الولايات العثمانية من بينها دمشق، وفي عام 1892 تم اصدار مادة تنص على أن يكون مدير المعارف هو المرجع الرئيسي للمعارف، ويتضمن هذا النظام 61 مادة، وقد قسمت المدارس الحكومية إلى خمسة أقسام: الإبتدائية والرشدية والإعدادية والسلطانية (الثانوية) والعالية.³

وقد عمل السلطان عبد الحميد على بناء المدارس كما تضمن المادة بدأ بالمدارس الإبتدائية الحكومية، فبلغ عددها سنة 1880 في مدينة دمشق وحدها 103 مدرسة، منها 19 مدرسة مختلطة تضم 567 تلميذاً وتلميذة، و16 مدرسة للإناث تضم 498 تلميذة، و68 مدرسة للذكور تضم 2579 تلميذاً، كما تم إنشاء مدرسة عسكرية بدمشق ضمت 265 تلميذاً.⁴

وتوافد هذا العدد من التلاميذ تطبيقاً للمادة 114 من قانون المعارف بجعل التعليم الإبتدائي إلزامياً وقد إهتم بتعليم البنات وجعل الدولة توفر ماشأنه أن يشجع الأهالي على إدخال بناتهم للمدارس وتعليمهم، كما عمل على إنشاء المدارس العسكرية والحربية في دمشق.⁵

وقد قسم التعليم الإبتدائي إلى أربعة صفوف:

¹ عيسى عبد الرزاق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام (1834_1914)، مكتبة مدبولي، مصر، 2005، ص125.

² محمد الحوراني إبراهيم، المرجع السابق، ص117.

³ فوزي أبو غزالة رمزي، تطور التعليم في الدولة العثمانية: السلطان عبد الحميد الثاني أنموذجاً، مجلة الزرقاء، ع3 2019، ص329.

⁴ محمد عوض عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص260، 261.

⁵ فوزي أبو غزالة رمزي، المرجع السابق، ص333.

الصف الأول: قد سمي بالصف التحضيري أو صف التربية والتأهيل وفيه يتم تربية الطلاب وتعليمهم الانضباط والتخاطب بأدب.

الصف الثاني: وفيه تتم تدريس مواد القراءة وتحسين الخط والإلقاء.

الصف الثالث: وفيه يتم تدريس الجغرافيا والرسم والإملاء والحساب.

الصف الرابع: ويتم فيه تعليم الشعر والنثر والنحو كما تتم إضافة اللغة الفرنسية والتركية.¹

وبعد أن يتم الطلاب التعليم الابتدائي تأتي المرحلة الموالية وهي التعليم الرشدي والذي يكون مختلفا عن التعليم الابتدائي، حيث يدرس الطالب لمدة ثلاثة سنوات وأبرز ما يتم تدريسه في هذه المرحلة حسب السنوات ففي السنة الأولى تقسم السنة إلى فصلين:

الفصل الأول: يتم تدريس اللغة العربية، واللغة الفارسية والديانة الإسلامية والإملاء وتحسين الخط واللغة التركية.

الفصل الثاني: وفي هذا الفصل يقتصر تدريس اللغة العثمانية وآدابها.

السنة الثانية: فصل واحد ويتم تدريس العربية والفارسية والجغرافيا والحساب والإملاء.

السنة الثالثة: فصل واحد ويدرس فيه الأدب العثماني والأدب العربي والأدب الفارسي والجبر والهندسة والإملاء.²

لقد أدرك السلطان عبد الحميد وجود نقص في عدد المدنيين المتقنين لإدارة الوظائف غير العسكرية فإذا به سعى إلى التوسع في النطاق التعليمي في كل مستوياته والموازنة بين التعليم المدني والتعليم العسكري مما جعله ينشئ عددا أكبر من المدارس والمعاهد والكليات والمدارس العالية، وأيضا قام بتأسيس مؤسسات تعليمية مركزية في العديد من المقاطعات والأقاليم غير دمشق³، ولهذا أنشأ التعليم العالي والذي يشمل المدارس العالية كمدرسة الطب، ومدرسة الحقوق، ومدرسة الإدارة والسياسة ومدرسة القضاة.⁴

¹ محمد إبراهيم الحوراني، المرجع السابق، ص 121.

² نفسه، ص 128.

³ أبو غزالة رمزي فوزي، المرجع السابق، ص 334.

⁴ الجبوري هيثم المحيي، المرجع السابق، ص 1450.

لقد أمر السلطان عبد الحميد الثاني بتأسيس أول كلية للطب في دمشق سنة 1901م ثم تأسيس كلية للحقوق في دمشق بعدما كانت في بيروت ليتم نقلها لمدينة دمشق سنة 1913م وكان الهدف منها إعداد قضاة وحكام لمختلف الولايات العثمانية مستقبلاً.¹

¹أبوغزالة رمزي فوزي، المرجع السابق، ص 329.

المبحث الثالث: التراث الثقافي لدمشق خلال القرن التاسع عشر

تعتبر دمشق واحدة من أقدم المدن في العالم والتي تزخر بتاريخ ثقافي غني يعود لعدة قرون مضت نتيجة لتعاقب العديد من الحضارات عليها (الإغريقية والرومانية والبنزنطية والفارسية...)، ويظهر ذلك في اختلاف العادات والتقاليد لمجتمع مدينة دمشق والذي يتميز بتنوع وتعدد ثقافته وأعرافه، مما يشكل مزيج ثقافي للمدينة. وتشتهر المدينة بعمارتها التقليدية التي تتميز بالزخارف الجميلة والمتنوعة التي تتداخل بشكل معقد ومدهش يدل على الإبداع حيث تجمع بين التأثيرات المختلفة للحضارات المتعاقبة وبين الأصول المحلية، والعمارة الدمشقية بحد ذاتها تمثل تراثاً عريقاً يظهر جلياً في المعالم المتنوعة للمدينة (المساجد والبيوت...) مما يعكس الإبتكار الفني والهندسي لدمشق ويجعلها معروفة بذلك.

المطلب الأول: العادات والتقاليد

الأزياء:

تتنوع وتتعدد أزياء الرجال والنساء وفقاً لإختلاف الفئات الاجتماعية من طوائف دينية وعموماً فإن الرجال يرتدون القمباز¹ وعليه معطف رقيق مع عمام مطرزة فوق الطرابيش ضيقة من أطرافها إلى ناحية الجبهة²، ويرتدي رجال الدوائر الحكومية اللباس الإفرنجي جاكيت وسروالاً ضيقاً فوقه معطف من جنسه، والعلماء والمشايخ كانوا يرتدون عمام بيضاء فوق الجبهة، فتختلف ألوان الملابس حسب رتبة أصحابها، ويلبس العمال القنابير الكتانية أو الحريرية وتحت السروال الأسود.³

النساء كن يلبسن ملابس خاصة في الدور غير ملابس السهرات والإحتفالات، فملابس الدور عبارة عن ثوب وسروال ويلبسن فوق الثوب شال خفيف للزينة، أما ملابس

¹ رداء قصير ذو أكمام يرتديه الرجال في المناطق الشامية، (ينظر: خيرية قاسمية، تاريخ دمشق في مرحلة انتقال منذ القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى، <https://alfurqan.com>، تاريخ الدخول: 2023_05_12 على الساعة 18 و4).

² سركو دكران ماري، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني (1876_1908م)، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010، ص155.

³ خيرية قاسمية، المرجع السابق.

المناسبات والسهرات فكانت مصنوعة من البروكارو الغالي والذي أشتهر في دمشق في تلك الفترة وتصل أطرافها السفلية إلى الأرض، ذات ذيل طويل، وكانت ملابس النساء محتشمة لا تظهر من المرأة إلا عنقها وصدرها، وكانت أحيانا تغطي رأسها بقماطة الرأس فيظهر جزء من شعرها لينسدل تحت القماطة.¹

التسليّة:

كان للدمشقيين هوايات كلعبة السيف والترس وتعد من أكثر الألعاب إنتشارا في دمشق، حيث كان الراجل يذهبون إلى المقاهي ذات الأنهار والأشجار ليتسلو أمام مناضد خشبية تقدم فيها القهوة والشاي، وكانوا يقضون وقتهم في لعب الضاما والرند والورق والدومينو بينما يحتسون القهوة، وكان هناك مقاعد من الخيزران بها طاولات رند وشطرنج وجميع ألعاب الورق.²

الأعياد:

كانت الأعياد في دمشق نوعين أعياد دينية وأعياد مدنية، والأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد مولد النبوي وهلال نصف شعبان، حيث كان يستقبل الناس العيد بأفخرم عندهم من ملابس وزينة، وكان شهر رمضان عند الدمشقيين يمر بمراسم فكانوا يسمون العشر الأوائل من الشهر بعشر المرقوفيه يهيئون لعائلاتهم مختلف أصناف الطعام والعشر الثانية كانت تسمى بالعشر الخرقوفيه يستعد الناس لتجهيز ملابس العيد، أما العشرة الثالثة تسمى الورق فيها يبدأ الناس في إعداد حلوى العيد بأنواعها، والورق كان يصنع من العجين على شكل رغيف رقيق مستدير ثم يقطعونه ليشكلو قطعاً متوازية الجانبين، فيأخذو طرف القطع ليضعوا مسحوق السكر والجوز الناعم ثم يتم لفه وقلبه في الزيت البلدي ويسمى الورق أو السنبوسك.³

الزواج: اختلفت عادات الدمشقيين في حفلات الأعراس بين المسلمين والنصارى واليهود فكل ديانة تختلف عن الأخرى وتتميز عنها بتقاليد مختلفة ومعتقدات مختلفة أيضا.

¹سركو دكران ماري، المرجع السابق، ص ص158، 159.

²خيرية قاسمية، المرجع السابق.

³أحمد العلاف، المرجع السابق ص ص45، 46.

الزواج عند المسلمين:

كان الزواج عند مسلمي أهل دمشق يتبع أصولاً متعارفاً عليها بين المسلمين، حيث تقوم والدة الشاب الراغب في الزواج بالبحث عن فتاة ثم يتم الموافقة عليها لعمل خطبة رسمية يقوم أهل الشاب بزيارة أهل العروسة ليتفقوا على المهر، يتم العقد ومصاريفه تكون على أهل العريس، بعد الاتفاق يتم تقديم الحلويات والعصائر للحضور والإحتفال على الألمان والطرب.¹

وبعد الخطبة يأتي تجهيز العروس، بالجهاز والذي يتألف من مقاعد أفرنجية أي كنبات وسجادات وخزانة ذات مرايا للثياب ووثاب ووسائل أخرى متعددة، ويتم تجهيز طقم السرير بهيئته وفرش من قبل العريس، لتنتقل العروسة جهازها محمولاً برفقة العائلة وشيوخ الحارة بغرض أعلام الناس، ليأتي يوم العرس فيقوم رفاق العريس باللباسه ثياباً جديدةً ويكون بين صلاة المغرب والعشاء، يتجهز موكب العريس المؤلف من أقربائه وأصدقائه يزمرون ويطلبون إلى أن يصل الموكب لدار العروسة والتي تكون قد تجهزت وتزينت ومشطت لتزف إلى بيت زوجها على زغاريد نساء.²

الزواج عند المسيحيين:

الأعراس عند المسيحيين في دمشق كانت تسري على نهج المسلمين إلا أنه طراً عليها تغيير، حيث كان يذهب أقرباء العريس لرؤية الفتاة لإختيارها كزوجة لابنهم، إلا أنه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تغير ذلك نتيجة الإحتكاك بالغرب، فقد أصبح الخطيب قادراً على رؤية الفتاة التي يريد أن يتقدم إليها أو أن يختار الفتاة التي يرغب في الزواج بها، ومدة الإحتفال عند المسيحيين تكون في سبعة أيام، لكن بعد سنة 1860 أصبحت ثلاثة أيام فقط³، وبعد ذلك صار يوماً وليلة، وتكون الأعراس أيام الأحاد، فيدعى الأهل والأصدقاء رجالاً ونساء ويحضرون آلات الطرب، وفي المساء تحديداً عند غروب

¹خيرية قاسمية، تاريخ دمشق في مرحلة انتقال منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى، متاح على الرابط <http://al-furqan.com>، تاريخ الدخول 2023_05_02، على الساعة 15 و45د.

²سركو دكران ماري، المرجع السابق، ص131.

³نعيسة يوسف جميل، المرجع السابق، ص705.

الشمس يذهب وفد إلى دارالعروس للمجيء بها يتقدمهم (الاشبين) وكيل الزوج، الذي يوزع الشموع على الحاضرين الذين يلتفون حول العروس، ويذهبون بها إلى الكنيسة حيث يكللها الخوري وبيبارك لهم ومن ثم إلى دار العريس، ينشدون ويرقصون.¹

وبعد أن يأكل الحاضرون ماجهز من طعام ويذهبون، يأتي العريس إلى حجرة معدة ينتظر ثم تأتي العروس ويأخذ الجميع بالانصراف إلا بعض النساء المقربات للعروسين.²

الزواج عند اليهود:

أما الزواج عند يهود دمشق فكان يجمع بين عادات المسلمين وعادات المسيحيين وما كان يميزه الحرية التامة في إنتقاء الزوجة وتقديم هدية للعريس من قبل أهل الفتاة الباننة وتسمى (الدوته)، وسؤال الفتاة ما لديها من مال، ويكتب بين الخطيبين ما يسمى القنيان أي العهد، وفيه يعينون مقدار المهر المقدم من كلا الطرفين، وبعد الاتفاق يستلم الزوج الأمتعة والنقود وما تعهدت الفتاة بتقديمه له.³

ويوم العرس تقام وليمة لمدة سبعة أيام كاملة، بحضور الأقرباء والأصدقاء، وكان يظهر في هذه المناسبة بين نسائهم العديد من النساء المسلمات والمسيحيات الدمشقيات المدعوات للعرس، فتعزف الموسيقى ويبدأ الجميع بالرقص، والمهرجون بتقديم ألعابهم وتجلس العروس على كرسي ذي ذراعين في وسط الديوان المفتوح، أو على ديوان في زاوية وخلفها ثلاث شموع ضخمة مشتعلة، في حين تكون العروس مغطاة بحجاب القز الأحمر الشفاف، وملابسها تكون من الحرير وقد تزين جسمها المجوهرات والحلي. وتجلس والدتها أو إحدى قريباتها إلى جانبها، أما بقية النسوة فيجلسن محجبات.⁴

مراسم الختان:

يكون الختان بين سن الرابعة والثانية عشر من العمر، وحفله يكون بتحضير مختلف أصناف الطعام والساكر والحلوى للمدعوين، وبعدها تبدأ النساء بالزغاريد والرجال

¹سركو دكران ماري، المرجع السابق، ص134.

²نعيسة يوسف جميل، المرجع السابق، ص ص705، 706.

³سركو دكران ماري، المرجع السابق، ص136.

⁴نعيسة يوسف جميل، المرجع السابق، ص706.

بالأناشيد، ويجلبون الأطفال المراد ختانهم إلى قاعة كبيرة بملابس جديدة مزينة ومزركشة وسط الجمهور، ليتقدم المزين¹ لإجراء العملية الختانية فيقوم بقياس طولهم والتعرف عليهم لكي لا يخاف الأطفال منه²، ويجلب لهم ملابس جديدة ثم يطلب المزين مساعدة أحد أقارب الطفل المراد ختانه للإمساك بقدمه، وهنا يسارع الناس بالصراخ وإحداث ضجيج لكي لا ينتبه باقي الأطفال للطفل الذي يختن، ويتم الاحتفال إلى أن يشفى الأطفال، وتعد حفلات الختان مهمة جدا في دمشق فأهميتها لا تقل عن أهمية الأعراس.³

المطلب الثاني: الفن والعمارة

تطور الزخرفة في دمشق:

وجدت الرسوم الجدارية الآدمية في العصر الأموي بالرغم أنه كان مكروها في الإسلام، إلا أنه تم رؤية تمردات واضحة على جدران قصور الأمويين، حيث تمثل هذه الرسوم الجدارية حفلات صيد وغيرها من الرسوم، وتظهر الرسوم الجدارية الآدمية جليا في مدينة دمشق تحديدا جامع بني أمية المعروف بالجامع الأموي، حيث وجدت بواجهة الجامع نممات⁴ بشكل مترف وفي القصر الحير الغربي.⁵

وقد ظهرت الزخارف الجصية أول مرة في العهد الأموي على المتحف الدمشقي وأيضا كانت تزين المباني المهمة في حي الصالحية.⁶

ومنذ العصر السلجوقي حتى الأناطلي، وفي أيام الملك السلطان نور الدين محمود بن زنكي بلغت الزخرفة أوجها بظهور القباب ذات الطابع السلجوقي على العمارة الدمشقية، وتركز هذا الطابع في المدرسة النورية على التصميم والبناء، وتميز العهد الأيوبي بنهضة

¹ هو الحلاق وأيضا يزاول مهنة الطبابة، أو الجراح وأشتهر المزين قديما بإجراء الختان. (ينظر: سارة مخزيم، الحلاق المزين، <https://www.kuna.net.kw> / تاريخ الدخول: 2023_04_03 على الساعة 43 و 00 د)

² يوسف جميل نعيسة، المرجع السابق، ص 662.

³ أحمد العلاف، المرجع السابق، ص 76، 77.

⁴ وتعني النممة الصور الصغيرة أو الرسم التزييني، يكون مزخرف ومنقوش، (ينظر: الرسام، تعريف فن النممة نشأته وخصائصه، مجلة الرسام، أغسطس 2021، متاح على الرابط: <https://www.mrassem.com>)

⁵ قتيبة الشهابي، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق، وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص 09.

⁶ أسيل جعباني، الزخارف الجصية في عمارة دمشق <https://e3arabi.com> تاريخ الدخول: 2023_04_12 على الساعة

عمرانية واسعة ونشهد الزخارف الجصية في الجدران الباب الشمالي للجامع الأموي وأيضاً إلى جانب هذا الحشوات الحجرية المنقوشة بكتابات مؤرخة ذات طابع زخرفي في الجدار الشرقي لقلعة دمشق وتميز العهد المملوكي أيضاً بتنوع أشكاله الزخرفية وغناها وهنا ظهرت المداميك الحجرية ذات ألوان والمعروفة بالأبلق.¹

وفي العصر العثماني تبرز خصائص الفن السلجوقي بالإضافة إلى خصائص العهد المملوكي حيث ظهرت الفسيفساء الرخامي الملون والذي يكون من زخارف نباتية أو هندسية ليأتي استخدام الخزف والمعروف القاشاني لانتشر باللونين الأزرق والأخضر وقد كسيت به جدران الحمامات.²

وتعتبر الزخرفة جزءاً هاماً في تاريخ دمشق لتجسيدها ثقافات وحضارات مختلفة مرت لهذا نرى تنوع في الزخرفة بمختلف أشكالها وتركيباتها.

المعالم الحضارية لمدينة دمشق:

البيت الدمشقي: يعود تاريخ البيت الدمشقي إلى القرن السابع عشر واستمر إلى أن دخلت دمشق مرحلة العصر الحديث في القرن التاسع عشر وتأثرت بالعمارة الأوروبية، وتختلف البيوت الدمشقية عن بعضها في الزخارف والمساحة وعناصر المنزل،³ ويتباين حجمها فقد بنيت بعضها بالحجارة المقطوعة الكلسية والبازلتية السوداء، وقد ألصقت الحجارة فوق بعضها بالجص⁴ والكلس، إضافة إلى التراب ليشكل جسماً واحداً محكماً بشكل دقيق ومثل هذه البيوت تكون للأثرياء من المجتمع، ومن البيوت ما بني باللبن⁵ والذي يوضع بقالب مربع من خشب ويجفف بالشمس، ثم يتم البناء ليشكل بيتاً متواضعاً يكون للفقراء من المجتمع

¹ تطلق على مداميك الألوان المتناوبة وهي عبارة عن صفوف حجرية أفقية التي تتناوب فيها الألوان كالأبيض والأحمر، (ينظر: قتيبة الشهابي، المرجع السابق، ص 15).

² قتيبة الشهابي، المرجع السابق، ص 10، 11.

³ أمينة صحراوي، العمارة الدمشقية، <http://www.medinasarl.com> تاريخ الدخول: 2023_04_25 على الساعة 04 و30د.

⁴ وهو جبس، من مواد البناء، وهو خام من كبريتات الكالسيوم المائي الطبيعي المتبلور، ولونه كلون الصدف، ويستخدم في طلاء البيوت وتقويم الحجارة. (ينظر: قاموس المعاني متاح على الرابط: <https://www.almaany.com> تاريخ الدخول: 2023_04_26 على الساعة 11 و05د).

⁵ بكسر الباء وهو التراب المجلول بالماء. (ينظر: نعيصة يوسف، المرجع السابق، ص 490).

الدمشقي،¹ في العادة تتألف البيوت العربية في دمشق من طابقين، حيث يبني الطابق السفلي بالحجارة، أما الطابق العلوي فإنه يبني بالطين يضاف إليه التبن، وعادة يتألف البيت العربي أيضاً على فسحة مكشوفة وتكون في الوسط محاطة بأحواض الزهور والأشجار ويكون البيت العربي مسكناً شتوياً وصيفياً للعائلات الدمشقية لأن الطابق السفلي أو الأرضي يكون رطباً معتدلاً في فصل الصيف، أما الطابق العلوي يكون دافئاً في فصل الشتاء لتعرضه لأشعة الشمس ولا يوجد به نوافذ.²

سور دمشق القديم:

كانت دمشق في العهد الروماني محاطة بسور، وقد احتفظت المدينة في القرن التاسع عشر بأجزاء كبيرة من هذا السور القديم، رغم مرور حقبة من الزمن، وكان سور المدينة عنصر مهم في تطورها العمراني فمنه نجد أن المدينة توسعت عمرانياً بداية من القرن الثامن عشر في منطقة الصالحية وسفح قاسيون.³

ويعتبر من المعالم التي تجذب السياح، الذي أحاط المدينة بمساحة 105 هكتاراً وأبعاده حوالي 1500×750م، ومع إتساع المدينة تغيرت جوانبه حيث كانت أضلاعه الثلاثة تتوازي مع الشوارع المستقيمة المتعامدة أما الضلع الرابع فيتماشى مع نهر البردي وكان للسور سبعة أبواب، ثلاثة في الشمال وإثنان في الجنوب وإثنان آخران كبيران في الضفة الغربية والشرقية.⁴ باب **توما**: كان يدعى باب توما نسبة للقديس أحد الرسل الإثني عشر للمسيح، ويقع الباب في الشمال الشرقي لمدينة دمشق القديمة وبني أول في العصر الروماني⁵ ويصل إرتفاعه الحالي 438 سم وعرضه 322 سم وسماكته تصل إلى 07م⁶ أقيمت عليه كنيسة عظيمة في العصر البيزنطي ثم تعرض للتخريب، فأنشأه من جديد الملك الايوبي الناصر داوود بن

¹نعيسة يوسف، المرجع السابق، ص490.

²صفوح الخير، دمشق، المرجع السابق، ص386، 387.

³سمير عنجوري، التطور العمراني في مدينة دمشق (1860_1960)، www.maaber.org تاريخ الدخول: 2023_05_02 على الساعة 08 و30د.

⁴دارين علي أحمد، دراسة جيوقدمية العمرانية في مدينة دمشق، **مجلة جامعة تشرين**، ع02، سوريا، 2018، ص393.

⁵Alabrash Zahra, Old Damascus travel industry and patrimory, **journal of hotel and business management**, university of Romania, p3, available on: <https://www.longdom.org/>

⁶دارين علي أحمد، المرجع السابق، ص394.

عيسى ابن ابي بكر سنة 625 هـ ثم جدده الناصر محمد سنة 734 هـ، ومن هذا الباب دخل عمرو بن العاص لفتح دمشق.¹

باب السلامة: ويقع في الشمال من البلد وسمي بذلك تقاؤلاً لأنه لا يتم القتال ناحيته نظراً لوجود الأنهار والأشجار في هذه الجهة وقد بناه السلطان نور الدين الزنكي.²

باب الشرقي: ويقع شرق المدينة عند بداية الشارع المستقيم، وتم بناؤه في أوائل القرن الثالث ميلادي ودخل منه خالد بن وليد فاتحاً دمشق³ وهو الباب الذي نسب إلى كوكب الشمس ورمز لها الإله الإغريقي هيليوس وعند الرومان يسمى إله الشمس.⁴

باب جايبة: وهو الباب الغربي لسور دمشق، بناه الرومان ويعتبر من الأبواب السبعة الأصلية للسور، وينسب الباب إلى كوكب المريخ وهو إله الحرب عند اليونان.⁵

الباب الصغير: وهو الباب الجنوبي لسور دمشق، وينسب هذا الباب إلى كوكب المشتري ويمثل السماء والأمطار والرياح عند اليونان⁶ وسمي بالباب الصغير لأنه أصغر الأبواب وسمي بباب الحديد في العهد العثماني لأنه كان مدعماً بصفائح الحديد ومنه نزل يزيد بن أبي سفيان عند فتحه لدمشق.⁷

باب كيسان: يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لسور المدينة ويمثل أحد الأبواب السبعة الأصلية للسور، ونسب الباب لكوكب زحل وهو إله الزمن عند اليونان⁸، يتألف من كتلة معمارية طولها 22م وعرضها 09م وارتفاعها 11م وسمي نسبة إلى كيسان مولى معاوية.⁹

¹النصف عبداللطيف وليد، أبواب دمشق ما بقي منها شاهد حي على الحضارات المتعاقبة، مجلة القيس، ع161885،

مارس 2005، متاح على الرابط: <https://www.alqabas.com/article/>

²قتيبة الشهابي، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص51.

³دارين علي أحمد، المرجع السابق، ص393.

⁴قتيبة الشهابي، المرجع السابق، ص135.

⁵نفسه، ص113.

⁶نفسه، ص159.

⁷دارين علي أحمد، المرجع السابق، ص394.

⁸قتيبة الشهابي، المرجع السابق، ص193.

⁹دارين علي أحمد، المرجع السابق، ص394.

باب فراديس: ويقع في الجهة الشمالية بناه الرومان، نسب إلى كوكب عطارد وهو رسول الآلهة عند اليونان، واسمه هرمس¹ وسمي بباب العمارة، ويصل ارتفاعه إلى 431 سم وعرضه 350 سم وتم تجديده في عصر نور الدين.²

الجامع الأموي:

الملقب بالجامع العظيم، يعتبر من أكبر وأقدم المساجد في العالم وأجملها، ويعد رابع أشهر المساجد الإسلامية في العالم بعد مكة والمدينة والمسجد الأقصى³، من أروع ما شيد الأمويون في دمشق، تفرد بإتساع مساحته وجدرانه المؤزرة بالرخام والتي رصفت فيها فسيفساء من زخارف وآيات قرآنية ومناظر طبيعية، أما سقفه فقد صنعت من خشب مزين بالنقوش والموشى بالذهب، وعلقت قناديل والثريات بسلاسل من الذهب الخالص.⁴

تسند الأسقف الخاصة بأروقة الصحن الغربية والشمالية والشرقية على الجدران الخارجية، وكان للرواق الغربي جدار مغطى بالرخام على ارتفاع كبير والقسم العلوي منه مغطى بفسيفساء زجاجية ملونة تمثل مشاهد من منازل دمشق القديمة وأنهار، أما بالنسبة لردهة الباب الغربي فيوجد على جانبيها قاعات من المعبد الوثني وسقفها مكسو بالخشب المدهون الملون منذ القرن الخامس عشر⁵ تحمله طبقتين من الأقواس، الأقواس العليا عبارة عن فتحات تفصلها أعمدة صغيرة والأقواس السفلية تستند على أعمدة من الغرانيت الأحمر⁶ بواسطة تيجان كورنثية تعلوها تيجان غير مزخرفة ومكسوة بطبقة من الرخام الأبيض، وقد كسيت الجدران بالرخام الملون ثم تأتي الفسيفساء لتغطي بقية الجدار، وقد أضيفت في العهد

¹قنتيبة الشهابي، المرجع السابق، ص 181.

²دارين علي أحمد، المرجع السابق، ص 39.

³Alabrash Zahra, op.cit ,p p 05,06.

⁴مراد مروان محمد، دمشق سجل الإبداع الفكري، دار الشرق، لبنان، 2007، ص 27.

⁵فاطمة جود الله، سوريا نبع الحضارات تاريخ وجغرافية أهم الآثار في سورية، دار الحصاد، دمشق، 1999، ص 436.

⁶عبارة عن صخرناري تجمد من حمم الماغما وتتشكل هذه الصخور من خلال التحور الطويل والمكثف للصخور. (ينظر:

عبد المنعم مصطفى، ماهو الغرانيت وكيف يتكون؟، <https://www.ibelieveinsci.com> تاريخ الدخول:

2023_05_15 على الساعة: 20 و40 د).

العثماني أنواع ألواح من القاشاني¹ إلى علو معين من الجدار ومثل القاشاني قد أضيف القاشاني في اللون الأزرق.

أما الرواق الشمالي فكانت أقواسه تستند على دعائم وفي طرفيه أعمدة مماثلة للرواق الغربي، وقد تم إزالة العناصر الزخرفية نتيجة الترميمات المتكررة، وجدار هذا الرواق نطاق كتابي يمتد على طوله وعلى طول الجدار الغربي، والرواق الشرقي يحوي على ردهة مكسوة بالرخام والفسيفساء رمت في عهود مختلفة من الزمن وقد احتفظت بأقدم قطعة رخامية تعود للقرن الثامن ميلادي.²

تم تجديد الحائط الشمالي للرواق بوضع الكثير من الفسيفساء، وقد أصلح رخامه ورسم وهذا سنة 630 هـ، وفي سنة 730 هـ جمعت فصوص الفسيفساء ليتم وضعها في الجدار المقابل للصحن في عهد ابن المرحل.³

و نتيجة لقدسية الجامع الأموي، فقد رمم عدة مرات ومما زاد الجامع الأموي أهمية كونه بقع في قلب دمشق وعلى قرب من سرايا الحكم والقلعة والمحكمة ناهيك عن قدسيته عند الدمشقيين فقد كان المكان المفضل عند عناصر الهيئة الحاكمة للقيام بالإجتماعات، وأيضا كانت تحيط بالجامع أسواق دائمة ومؤقتة.⁴

قلعة دمشق:

تعتبر قلعة دمشق أحد اعظم المعالم الأثرية وأكبرها في مدينة دمشق فهي تمثل نموذجا رائعا للفن المعماري في المدينة، وتقع القلعة في الزاوية الشمالية الغربية للمدينة يحدها من الشمال نهر البردي⁵ ومن الجنوب سوق الحميدية ومن الشرق شارع أبي عصرون

¹ عبارة عن بلاط من الخزف على شكل مربع مزجج ويتم تزيينه بالعديد من الألوان وكل هذه الزخرفة والألوان تتواجد على أرضية بيضاء يحاطها خطوط، والقاشاني عبارة عن فن يعود للقرن السادس عشر. (ينظر: ولاء درويش، تاريخ صناعة القاشاني، almrsal.com تاريخ الدخول: 2023_04_13 على الساعة: 20 و 22 د).

² فاطمة جود الله، المرجع السابق، ص 473.

³ علي الطنطاوي، الجامع الأموي في دمشق، وزارة الأوقاف، سوريا، (د.ت.ن)، ص ص 59، 60.

⁴ يوسف نعيمة جميل، المرجع السابق، ص 394.

⁵ هيثم جودية، قلعة دمشق نموذج رائع لفن العمارة العسكرية، متاح على الرابط:

وغربا شارع الثورة، وهي ذات شكل مستطيلي ذي أضلاع غير مستقيمة ويحيطها من الخارج منبع ذو أبراج مربعة ضخمة يبلغ عددها 12 برجاً، بنيت في عهد السلاجقة أيام الأمير إتسز بن أرسلان عام 1078.

هدمت القلعة في العهد الأيوبي ليعاد بناؤها بالشكل المعروفة عليه حالياً، وقد سماها العرب الأسد الرابض نتيجة لتحصنها بعد البناء¹، تعرضت القلعة لعدد من الكوارث في عهود لاحقة نتيجة الحروب والثروات والزلازل وغيرها وفي كل مرة يعاد ترميمها، ويبنى مايتحطم منها.²

قصر أسعد باشا العظم:

يعد من أهم القصور فيمدينة دمشق، بناه أسعد باشا العظم في النصف الأول من القرن الثامن عشر وقد سمي على إسمه، وهو أجمل القصور التي بنيت في العهد العثماني تخطيطاً وتزييناً، فقد بني من رخام وحجر، وزين بزخرفة جميلة تسر كل من ينظر إليها وكان القصر مقسماً إلى ثلاثة أجنحة: السلامك والحرملك وجناح الخدم والأتباع.³

الأسواق في دمشق:

كان لدمشق العديد من الأسواق المشهورة نتاج مختلف العهود التي توالى عليها وفي كل عهد يعاد ترميمها وبناؤها، نذكر منها:

سوق الحميدية: من أكبر الأسواق في دمشق وأشهرها، وطوله حوالي 600 م وعرضه 15م وارتفاعه بحدود 10م، ويعود بناؤه إلى القرن الثامن على مرحلتين، الأولى في عهد السلطان عبد الحميد الأول والثانية كانت في عهد عبد الحميد الثاني.⁴

سوق البزورية: يقع تحت سوق السلاح وفيه تباع النباتات والأزهار.

سوق السلاح: قبل الجامع الأموي وفيه تباع جميع السلاح.

¹ دارين علي أحمد، المرجع السابق، ص 394.

² قنتية الشهابي، المرجع السابق، ص 286.

³ نفسه، ص 286.

⁴ دارين علي أحمد، المرجع السابق، ص 399.

سوق الطواقين: ويقع خلف سوق البزوريين من الجهة الغربية وقد تم ذكره في سجلات محاكم دمشق وسمي بسوق القلبجية.¹

سوق مدحت باشا: والمعروف بسوق الطويلويتفرع منه من الجهة الشمالية سوق البزورية وسوق الخياطين، ومن الجنوب سوق السكرية وسوق الدقاين وهذا السوق مسفوف بسقف من حديد ذو ثقوب كثيرة.²

¹نعيسة جميل يوسف، المرجع السابق، ص 106.

²دارين علي أحمد، المرجع السابق، ص 399.

ملخص الفصل

تعتبر دمشق من المدن الثقافية الرائدة خلال القرن التاسع عشر في المنطقة المشرق العربي لأنها تحظى بتاريخ ثقافي غني وتعددية ثقافية متنوعة. تعددت الثقافات والمجتمعات في دمشق خلال هذه الفترة، حيث كانت تستضيف مجتمعاً كبيراً من العرب والأكراد والأرمن واليهود والتركمان وغيرهم من الأقليات الدينية والعرقية، كل هذه الثقافات تعايشت وتأثرت ببعضها البعض، مما أدى إلى تنوع ثقافي غني. تشتهر دمشق بعمارتها ومعالمها الجميلة فقد تأثرت دمشق بالثقافة الغربية خلال هذا القرن من خلال تبني أساليب وأفكار جديدة في التعليم، لكي يصبح تعليماً حديثاً ذو طابع غربي وهذا ما ظهر جلياً في المدارس في دمشق ناهيك عن تأثر العمارة الدمشقية بالأسلوب الغربي مما ينتج فنون هندسية ذات طابع محلي دمشقي أصلي وطابع غربي.

الخاتمة

في الأخير نستخلص من خلال دراستنا لمدينة دمشق دراسة سياسية وثقافية توصلنا لجملة من الإستنتاجات:

شهدت دمشق حالة من عدم الاستقرار السياسي نتيجة تأثرها بالتحولات ومتغيرات سياسية خلال القرن التاسع عشر حيث كان الوضع مزريراً للغاية، وخاصة الجانب الإداري حيث كان الموظفون غير جادين في عملهم، بالإضافة لإنتشار الفساد والفوضى والنزاعات بشكل واسع داخل المدينة. وما زاد الطين بلة انتشار ظاهرة بيع المناصب، وكلما ارتفعت المنصبية، زادت التكاليف المرتبطة بها .

اعتمدت دمشق على قوات الإنكشارية للدفاع، لكنهم تحولوا تدريجياً إلى الحياة المدنية، حيث بدأوا يتزوجون من سكان المدينة ويتخلو عن الزي العسكري ويتبنون الزي الرسمي، واستخدموا الخيل للتباهي بها وغير ملتزمين بواجباتهم، مما أدى إلى انتشار الفساد وانعدام الانضباط واستشراء الفتن. ولم تكن هذه المشاكل محصورة فقط في ذلك، بل شهدت أيضاً انتشاراً واسعاً لعمليات بيع المناصب، حيث زادت الأسعار مع تصاعد رتب المناصب العليا.

أدت الأوضاع سالفة الذكر إلى بروز الإصلاحات في عهدي السلطان سليم الثالث ما بين 1808-1892 والسلطان محمود الثاني وذلك أثناء 1808-1839 وهذه الفترة كانت تسمى بالإصلاحات والتي امتدت 1839-1892،

في فترة السلطان محمود الثاني شملت الإصلاحات قافلة الحج الشامي، والتي كانت من بين إهتمامات النظام السياسي العثماني نظراً لما تحويه من فائدة من كافة الجوانب. حين تولى السلطان محمود الثاني السلطة أكمل ما خطط له سليم الثالث، وتم ذلك بحادثة الواقعة الخيرية 1826.

برزت ثورة 1831 في ولاية دمشق، وتعود خلفيتها إلى جباية الضرائب والتي إعتبرها الأهل باهظة الثمن وزادت عن حدها.

تقدم الجيش المصري نحو دمشق مستغلا الوضع، وساد فيها نظام الحكم المصري بحملة شنها إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا.

جاءت فترة السلطان عبد المجيد الأول 1839-1860، التي أصدر فيها مرسوم خط كولخانة وهو عبارة عن فرمان يهدف من خلاله إلى الإصلاح، وبعده خط كولخانة الذي ينص على حماية الرعايا المسيحيين ومنحهم الحرية في ممارسة معتقداتهم الدينية. بروز الفتنة الطائفية 1860-1864 بين الدروز والموارنة، خلف هذا الصراع العديد من الخسائر البشرية والمادية .

كان للأمير عبد القادر الجزائري دورا في الحد من الصراع وتهدئة الأوضاع. مست التنظيمات في عهد السلطان عبد العزيز الجانب الثقافي والإقتصادي وبرز قانون الولايات في 1864 الذي حرص على ربط الولايات بالسلطة العثمانية، كما نص هذا القانون على ملكية الأراضي للرعايا المسيحيين.

جاء السلطان عبد الحميد الثاني بالمشروطية وذلك ابتداءا من 1876-1908 وكلف كل من مدحت باشا وفؤاد باشا بإصدار دستور، وهذا لاسترجاع هيبة الدولة. قام السلطان عبد الحميد الثاني بتخطيط إداري وسياسي، ووضع مشاريع من ضمنها مشروع سكة حديد بيروت ودمشق، ومشروع سكة حديد دمشق والمدينة المنورة، لضمان سير قافلة الحج الشامي، وإختصار الجهد والوقت.

كان التعليم قبل التنظيمات العثمانية حرا يعتمد على الكتاتيب والزوايا والمدارس الدينية معالنتوع في الطرق والأساليب التعليمية وفقا للخلفيات الدينية والثقافية للطلاب. شهدت المدينة تنظيماً للنظام التعليمي بناءً على الهيكل الإداري العثماني. قامت السلطات العثمانية بتنظيم وتوجيه نشاط التعليم في المدينة وتأسيس مؤسسات تعليمية رسمية حيث تم إنشاء مدارس حكومية.

كانت المدارس تقدم برامج تعليمية متنوعة تشمل القراءة والكتابة والحساب والعلوم واللغات الأجنبية مثل التركية والعربية، وكان الهدف الرئيسي لها هو تأهيل الطلاب للعمل في الإدارة العثمانية وتعزيز الولاء للإمبراطورية.

أولى السلطان محمود الثاني اهتماما كبيرا لتطوير التعليم الديني وتأسيس المؤسسات التعليمية والتحسين في جودة التعليم من خلال تطوير البرامج التعليمية المناسبة والحديثة للطلاب بعيدا عن التعليم الديني الحر.

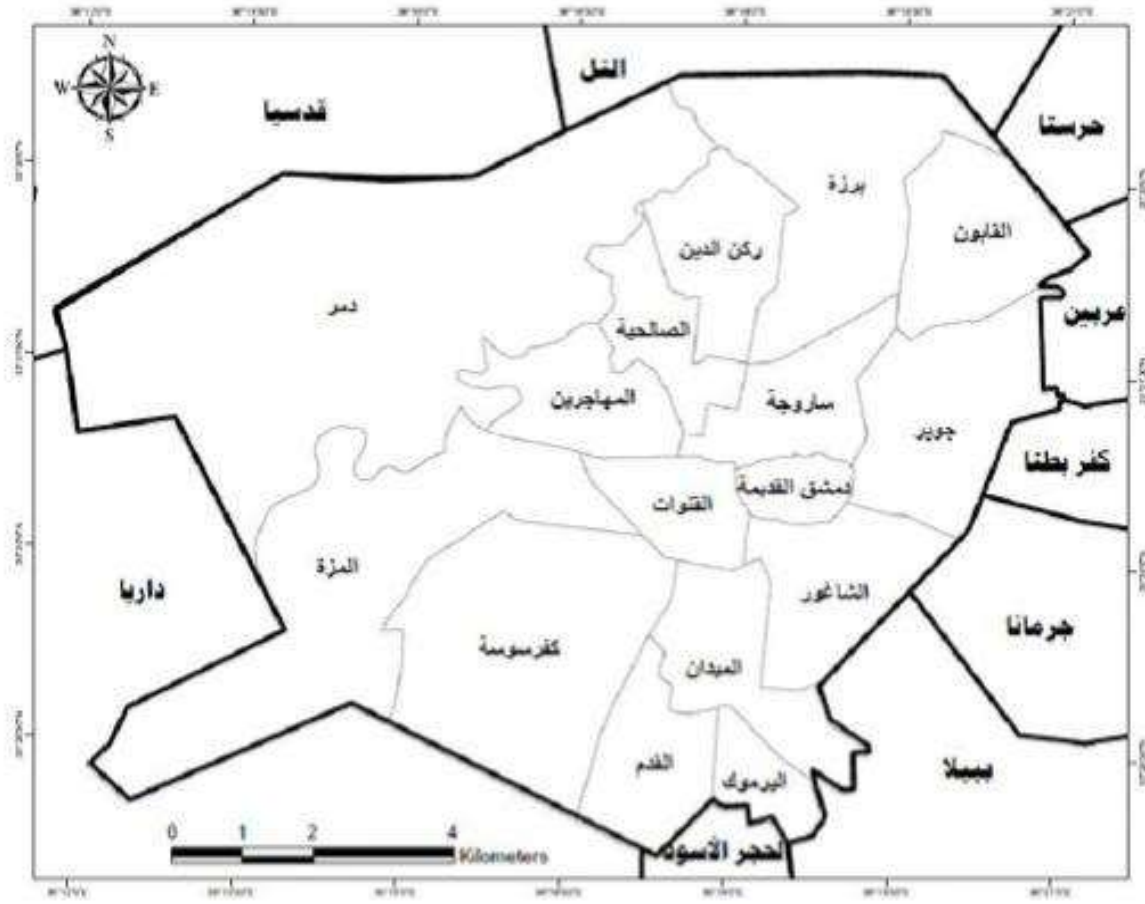
شهد التعليم في دمشق خلال فترة السلطان عبد العزيز تحسينات كبيرة مع إصدار قانون المعارف والذي كان يهدف إلى تنظيم وتحديث النظام التعليمي في المدينة مع توفير برامج ومناهج موحدة، وضمان تأهيل المدرسين وتدريبهم وتأسيس مدارس حكومية تعمل وفقا لقانون المعارف.

خلال عهد عبد الحميد الثاني تم تطوير وتعزيز التعليم بصورة كبيرة، فقد أنشئت مدارس لمستويات مختلفة، كالتعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والإعدادي بهدف توفير فرص التعليم لأكبر عدد من الطلاب في دمشق عبر إلزامية التعليم وجعله مجانيا للجميع، كما أنشأت كليات عديدة داخل دمشق وخارجها ككلية الطب وكلية الحقوق، وتم بناء المدارس في القرى والبلديات الصغيرة.

تضم دمشق مجتمعا غنيا بالعادات والتقاليد وهذا ما يعكس تراثها العريق، واختلفت عادات وتقاليد المجتمع الدمشقي نظرا لتنوع وتعدد الثقافات وذلك لوجود عدة طوائف من غير المسلمين، فكل طائفة لها عاداتها وتقاليدها المميزة عن الأخرى.

اتسم تاريخ العمارة في دمشق بالجمال والإبداع من تنوع في الزخرفة والأشكال الهندسية نتيجة للتأثيرات الحضارية المختلفة في المنطقة، وهذا ما يجعل دمشق تحفة فنية تتشكل في معالمها المختلفة.

الملاحق

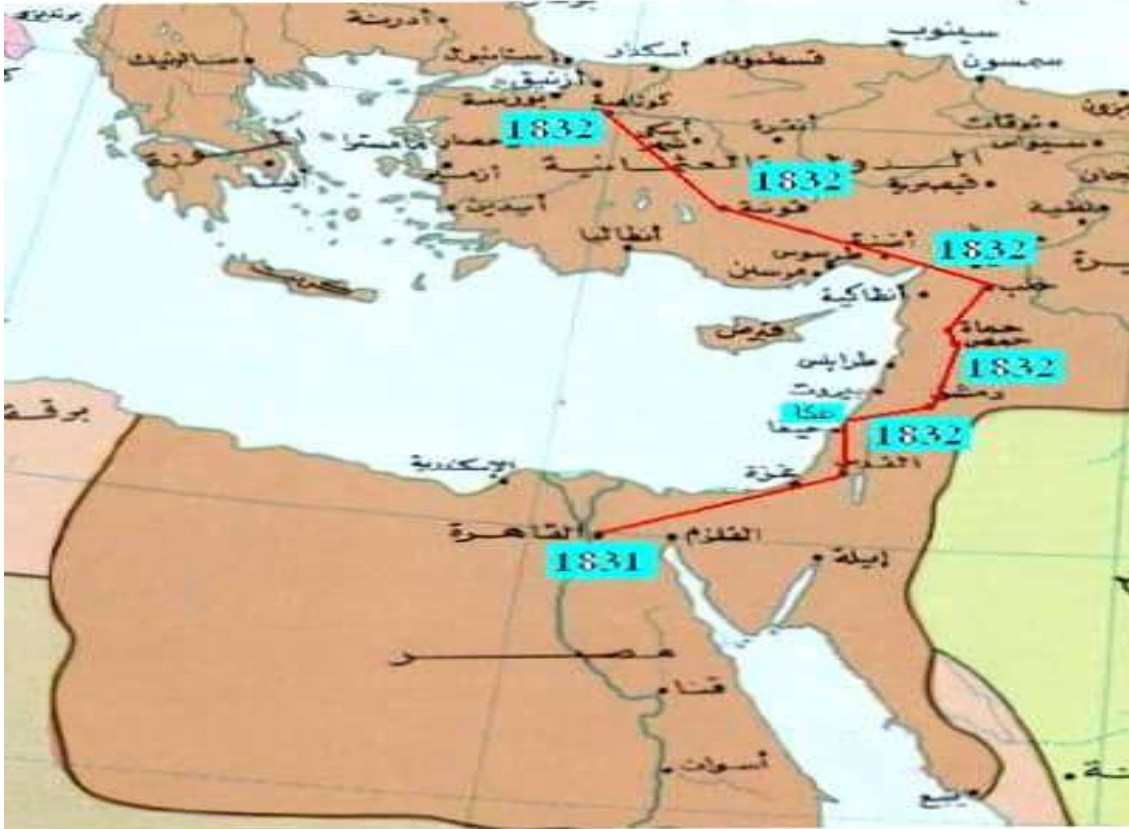
الملحق رقم 01: خريطة تمثل أحياء مدينة دمشق وموقعها بالنسبة للريف.¹

المصدر: من إعداد الطالب باستخدام برنامج Arcgis10.1.

الشكل (أ-1): أحياء مدينة دمشق وموقعها بالنسبة للريف.

¹ عبد العزيز عبد الكريم البخيت، الجزيرة الحرارية لمدينة دمشق، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الجغرافيا الطبيعية، جامعة دمشق، 2017، ص 03.

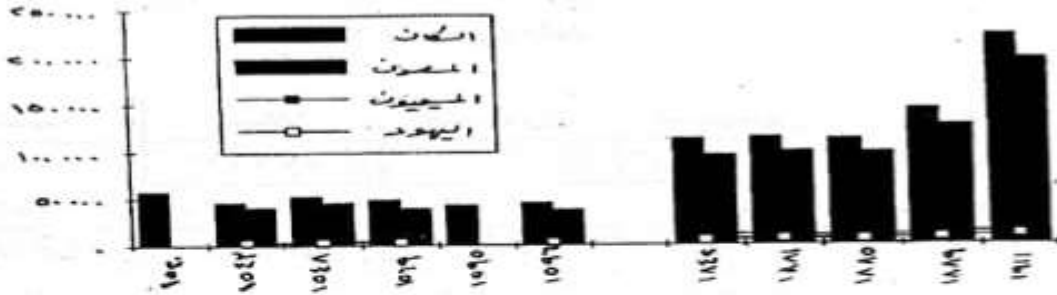
الملحق رقم 02: خريطة تمثل حملة إبراهيم باشا على الشام.¹



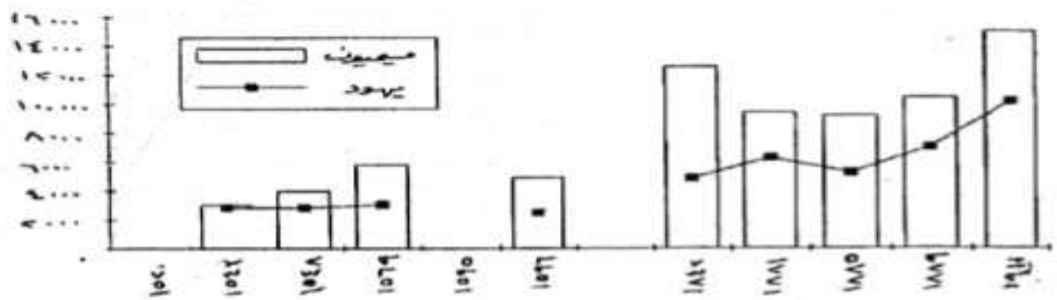
¹ مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا وتطورها في بلاد الشام، تح: أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق (د.ت.ن)، ص06.

الملحق رقم 03: رسم بياني يمثل عدد سكان دمشق ما بين 1510-1912¹

١٠- سكان دمشق (١٥٢٠-١٩١٢)



١١- المسيحيون واليهود في دمشق (١٥٠٠-١٩١٢) : بالتفصيل



¹زهير غزال، المرجع السابق، ص 70.

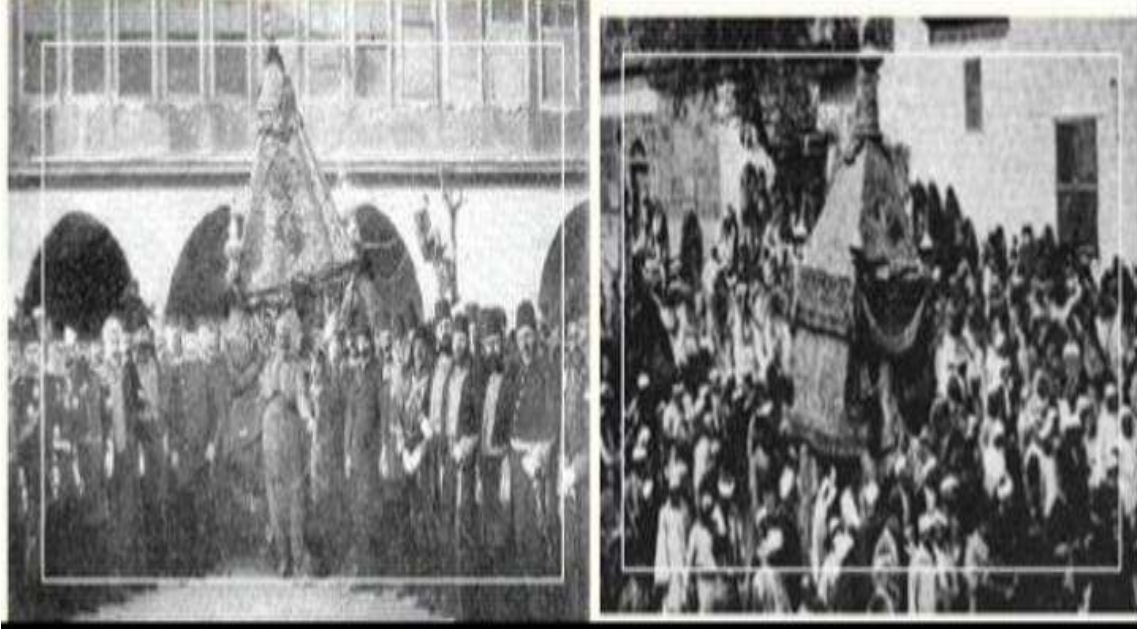
الملحق رقم 04: صورة تمثل عساكر المنصورة المحمدية بعد القضاء على الانكشارية.¹



عساكر المنصورة المحمدية

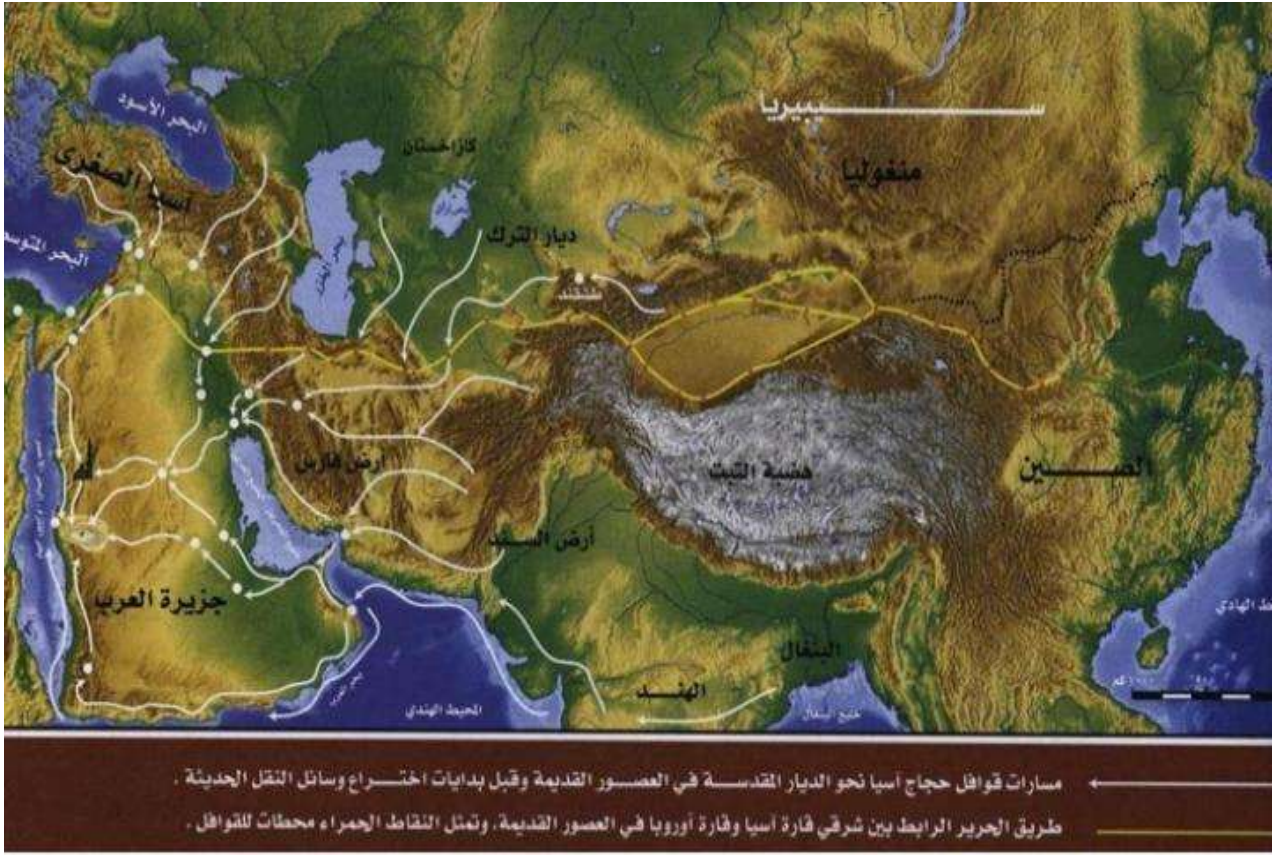
¹ اكمل الدين حسان اوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج1، تر: صالح سعادوي، مركز الابحاث والفنون، استنبول، 1999، ص534.

الملحق رقم 05: التحضير لقوافل الحج.¹



¹أمانى خليل الرجال، طريق الحج وعمائره الخدمية في سورية في الفترة، العثمانية دراسة تاريخية ومقارنة، رسالة لنيل درجة ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، دمشق، 2015، ص43.

الملحق رقم 06: خريطة تمثل مسار قوافل الحج.¹



¹أمانى خليل الرحال، المرجع السابق، ص20.

الملحق رقم 07: المدرسة الجقمقية بدمشق.¹



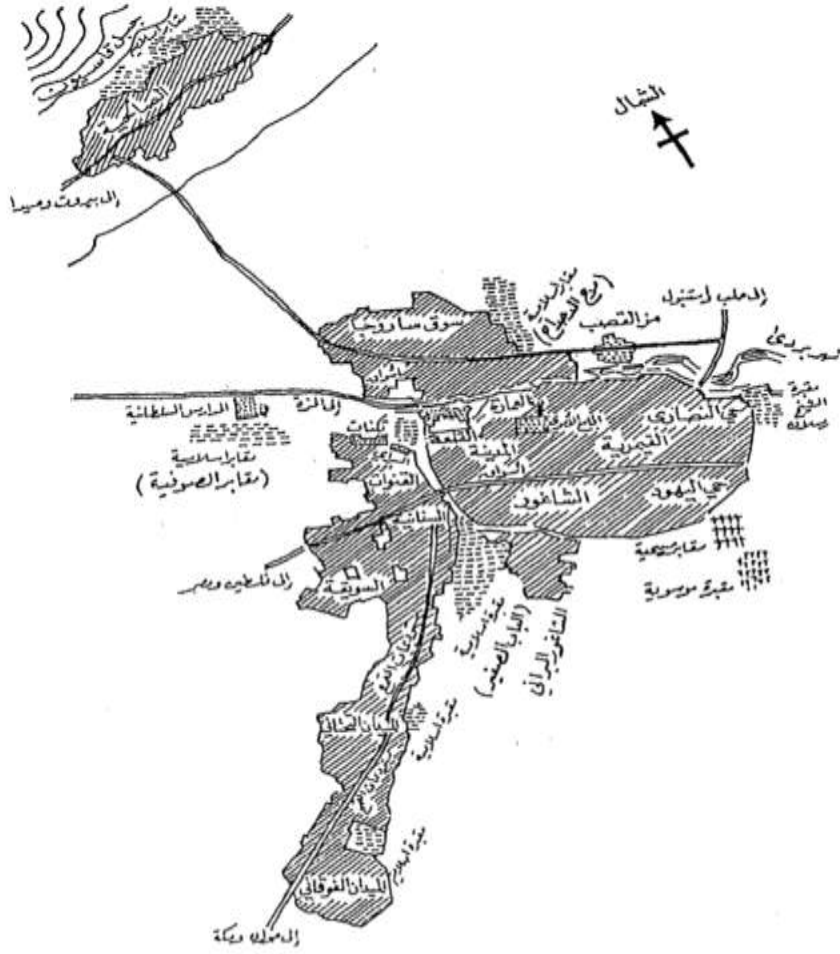
¹فداء شمس الدين، المدرسة الجقمقية، <https://sana.sy/?p=1605968> تاريخ الدخول : 2023_05_30 على الساعة 12 و 50 د.

الملحق رقم 08: سوق الحميدية بدمشق.¹



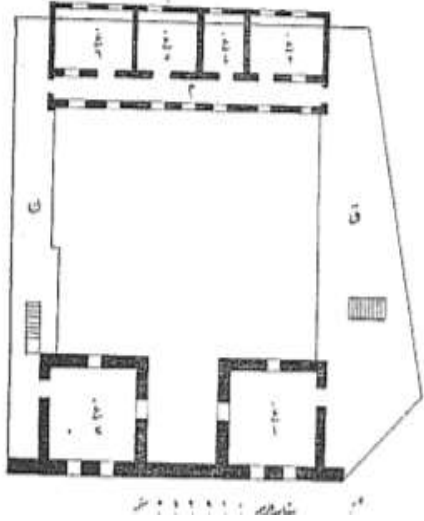
¹وزارة السياحة سوريا، سوق الحميدية بدمشق ينظر: <http://www.syriatourism.org> /2023_05_30 على الساعة 12 و59 د.

الملحق رقم 09: مخطط مدينة دمشق في مطلع القرن التاسع عشر.¹

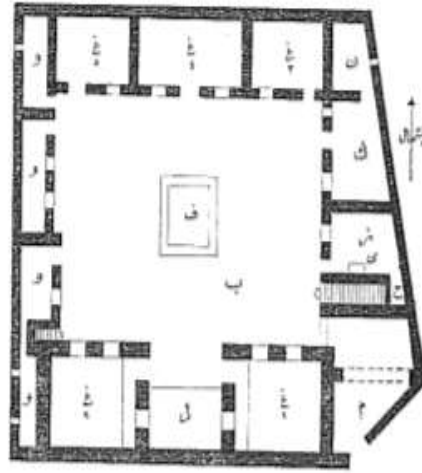


¹صفوح الخير، المصدر السابق، ص185.

الملحق رقم 10: شكل البيت العربي في دمشق.¹



الطابق العلوي



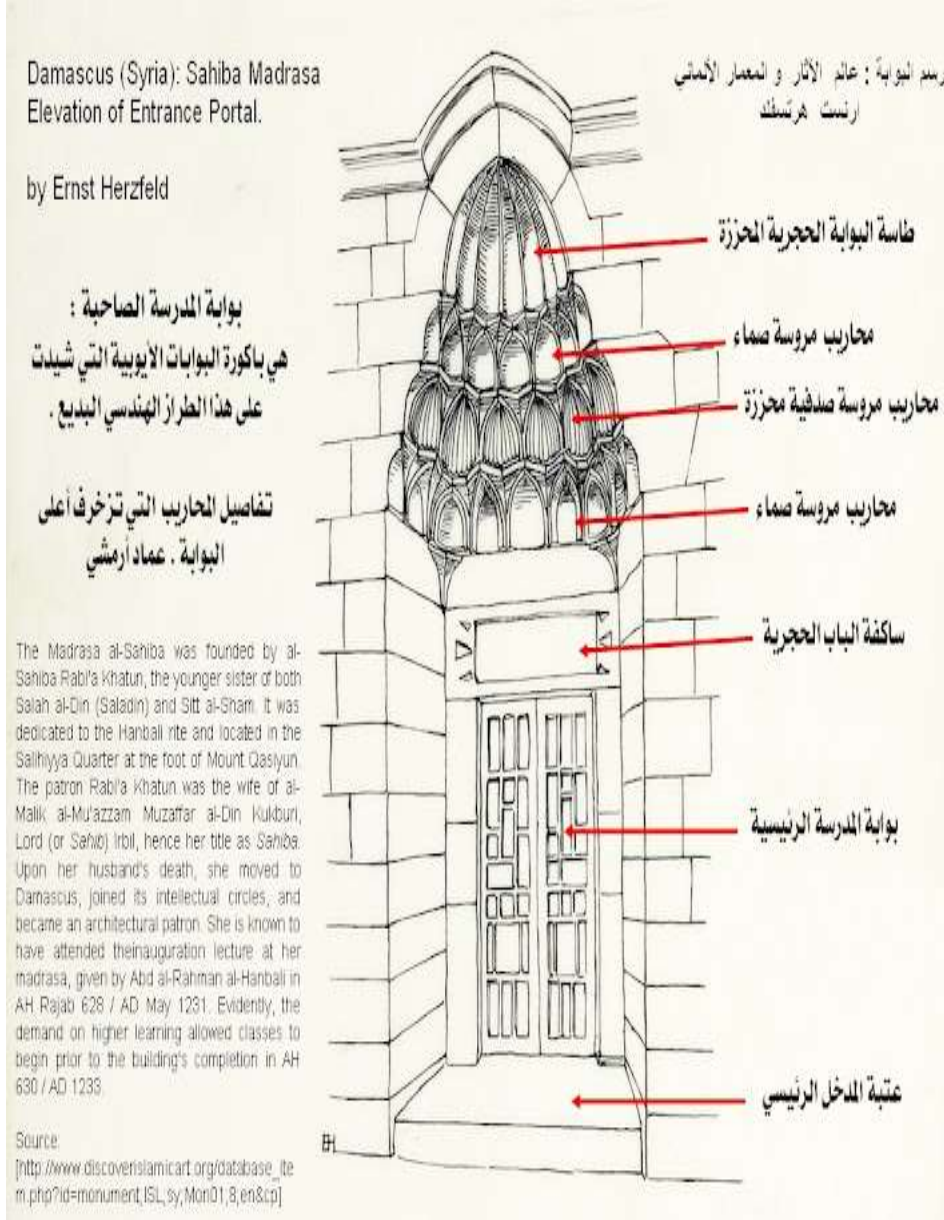
الطابق الأرضي

¹صفوح الخير، المصدر السابق، ص 187

الملحق رقم 11: صورة للمدرسة الصاحبة.¹



¹ معاذ عبدالرزاق، المدرسة الصاحبة، //islamic art. Museumwnfhpps: تاريخ الدخول: 2023_01_10 على الساعة 20 و56د

الملحق رقم 12: رسم تخطيطي للمدرسة الصاحبة.¹

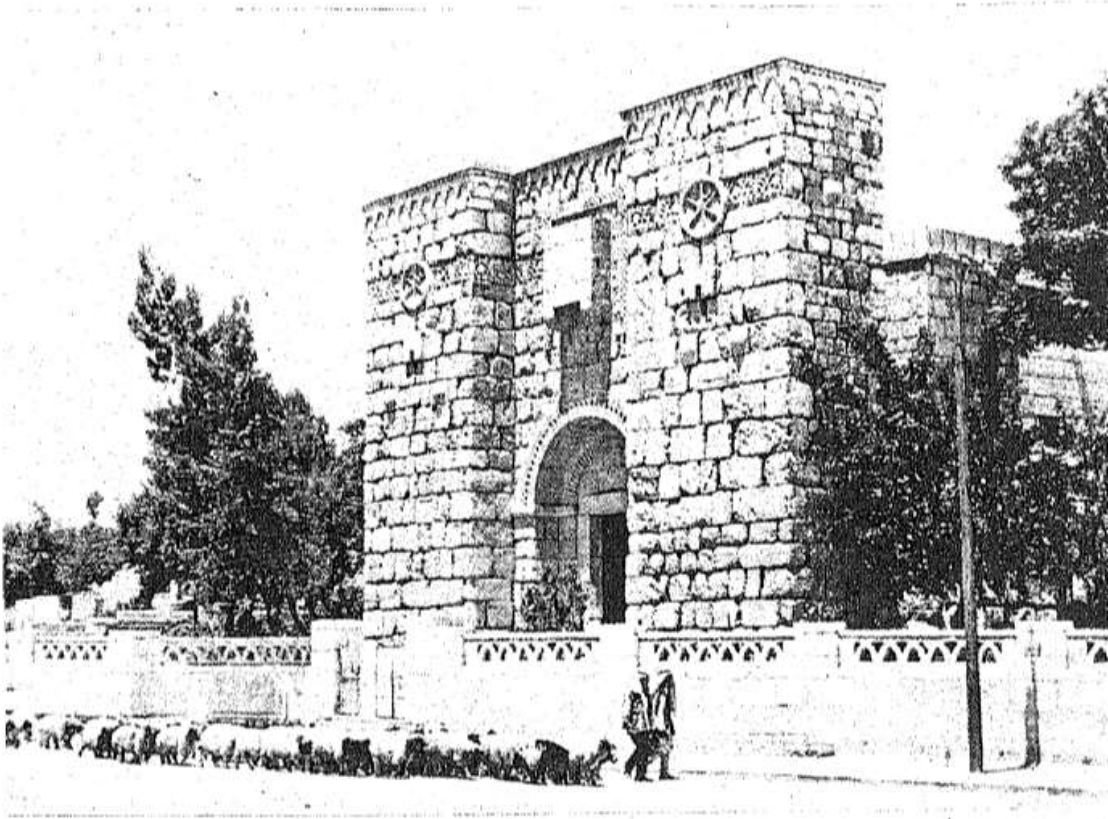
¹ عماد الأرمشي، المدرسة الصاحبة الحنبلية، <http://wahjj.com> / تاريخ الدخول: 2023_01_10 على الساعة 21 و56د.

الملحق رقم 13: جدول الحصص الأسبوعية للمواد التعليمية في دمشق.¹

اسم المادة	هندسة	قراءة	جغرافيا	ديانة	التربية الرياضية	الرسم	لغة العثمانية	تاريخ العثماني
عدد الساعات	2	2	2	2	2	2	2	2
اسم المادة	لغة اجنبية	لغة عربية	جبر+هندسة	فلسفة	علم النفس	علم اجتماع	رياضيات	تاريخ الإسلامي
عدد الساعات	2	3	4	2	2	2	7	2

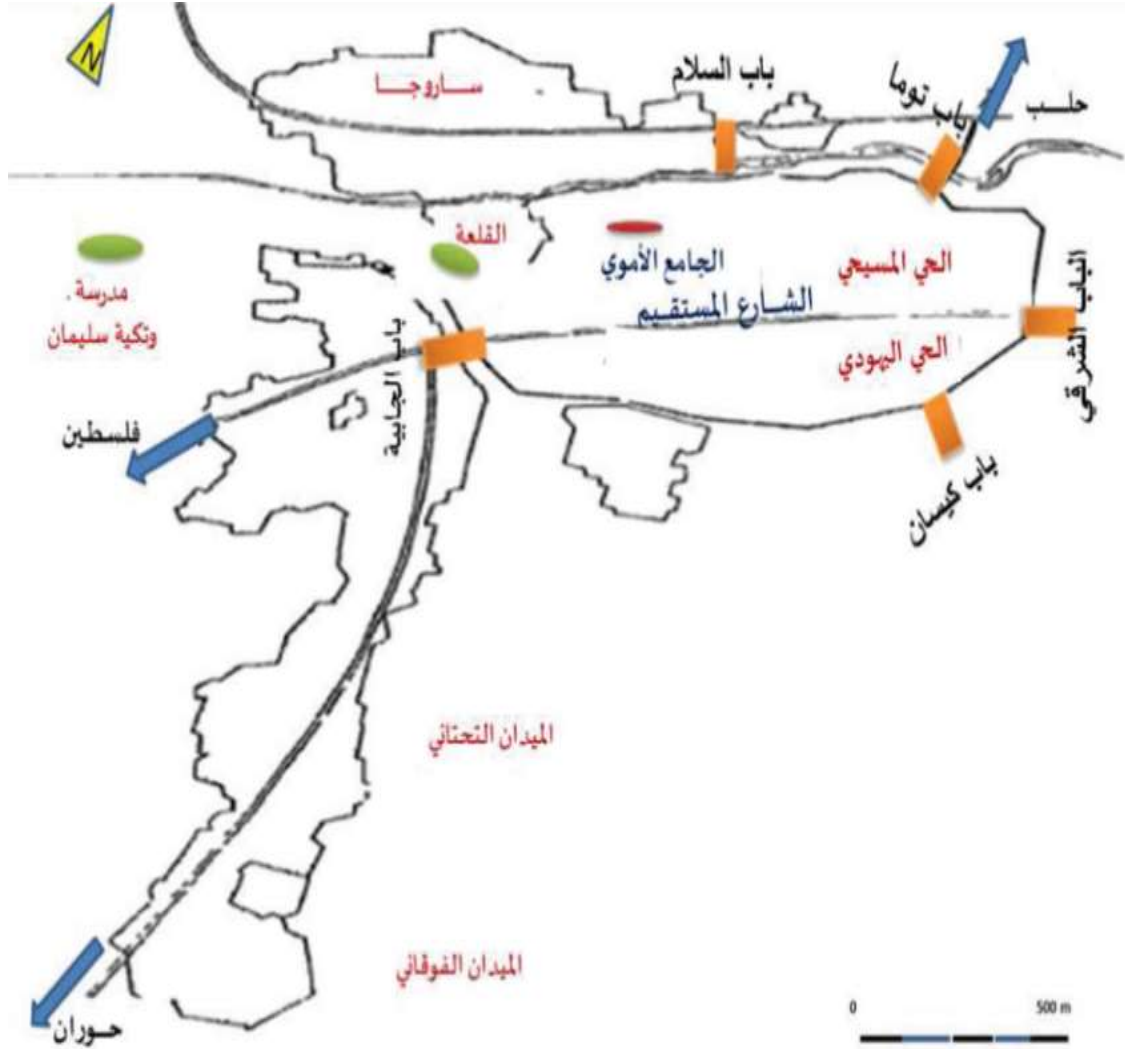
¹ محمد إبراهيم الخوراني، المرجع السابق، ص50.

الملحق رقم 14: باب كيسان من الشرق إلى الغرب.¹



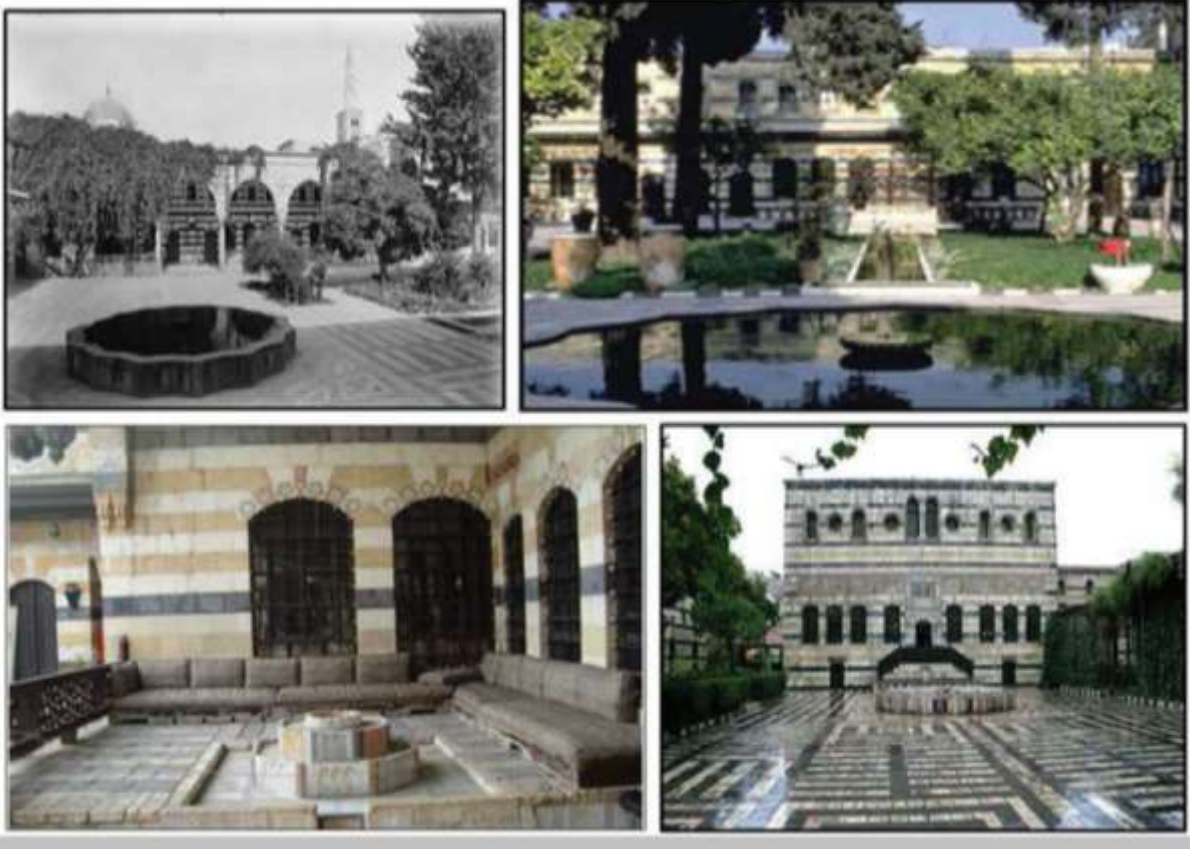
¹قنتيبة الشهابي، المرجع السابق، ص 201.

الملحق رقم 15: مخطط يوضح المعالم البارزة في دمشق.¹



¹ الشمري حصة، "مظاهر من التنظيمات والتطورات العمرانية لمدينة دمشق"، مجلة Asgj، ع37، ديسمبر 2017، ص253.

الملحق رقم 16: قصر أسعد باشا العظم.¹



¹الشمري حصة، المرجع السابق، ص258.

الملحق رقم 17: عدد الطلبة في دمشق بين عامي 1834 و1837.¹

السنة	عدد المدرسين	عدد الطلبة (الذكور)	عدد الطلبة (الاناث)	عدد المعلمات
1834	117	1378	13	1678
1837	128	1742	18	1997

الملحق رقم 18: الجامع الأموي بدمشق.²



¹ محمد إبراهيم الحوراني، المرجع السابق، ص 43.

² أحلام بكري، معلومات عن المسجد الأموي، <https://sotor.com> / تاريخ الدخول: 2023_05_30 على الساعة 06:02.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع بالعربية

الكتب

- 1 أبو الفضل محمد عبد الفتاح، الصحوة المصرية في عهد محمد علي، القاهرة، 1998.
- 2 أبو نصر عمر، سوريا ولبنان حتى القرن التاسع عشر، ط2، مطبعة وزنكوغراف طيارة، بيروت، 1927.
- 3 أرسلان شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، تح: سويداني حسن السماحي، دار ابن الكثير دمشق (د. ت. ن).
- 4 الأسطواني محمد سعيد، مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر 1840-1861، تح: الاسطواني أسعد، وزارة الإعلام، 1993.
- 5 الاسكندري عمر، سليم حسن، تاريخ مصر في الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر القاهرة، 1997.
- 6 آصاف عزلتو يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، دار الهداوي، القاهرة، 2014.
- 7 الأبيش أحمد، الشهابي قتيبة، دمشق الشام في نصوص الرحالين الجغرافيين والبلدين العرب والمسلمون في القرن الثالث عشر هـ، ج1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1993.
- 8 أغلو إكمال الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: سعداوي صالح ج1 مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استنبول، 1999.
- 9 أفندي إبراهيم، سر هزار، مصباح ساري ونزهة القاري، (د. د. ن)، بيروت، 2010.

- 10 اق كوندوز، اوزتورك سعيد، الدولة العثمانية مجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، الوقف للبحوث العلمية، تركيا، (د. ت. ن).
- 11 أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدن محمود سلمان، تن: الأنصاري محمود مؤسسة فيصل للتميل، تركيا، (د. ت. ن).
- 12 البديري محمد عبد الستار، المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي، دار الشروق، القاهرة، 1968.
- 13 بروكلمان كارل، الاتراك العثمانيون وحضارتهم، تح: أنبيه أمين فارس، البعلبكي منير دار العلم للملايين للنشر والطباعة، بيروت، 1949.
- 14 البهسيني عفيف، عمران فيحاء، دراسة في تكوين دمشق، دار الفكر، دمشق، (د. ت. ن).
- 15 بيضون جميل، تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت. ن).
- 16 جود الله فاطمة، سوريا نبع الحضارات تاريخ وجغرافية أهم الآثار في سورية، دار الحصاد، دمشق، 1999.
- 17 حسنين إبراهيم، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، سرت، 2007.
- 18 الحوراني محمد إبراهيم، التعليم في ولاية دمشق في العصر العثماني، الهيئة العامة السورية، دمشق، 2015.
- 19 الخالدي روجي الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة القاهرة 2012.

- 20 الدستور: تر: نوفل أفندي نعمة الله نوفل، مر وتح: الخوري خليل أفندي، مج1 المطبعة السورية، بيروت.
- 21 الرافي عبد الرحمان، عصر محمد علي، ط05، دار المعارف، (د. ب. ن)، 1989.
- 22 ريفادينيرا اودولفوا، من سيلان إلى دمشق، تر: علماني صالح، دار المدى للثقافة والنشر، إسبانيا، 2009.
- 23 زكار سهيل، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر روايات تاريخية معاصرة لحوادث1860، ومقدماتها في سورية ولبنان، التلوين للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 2006.
- 24 سركو دكران ماري، دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني (1876_1908م)، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010،
- 25 سيد محمد سيد، دراسات في التاريخ العثماني، دارالصحو، مصر، 1996.
- 26 الشطي محمد علي، أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر 1201-1350، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، (د. ت. ن).
- 27 الشلق أحمد زكريا، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة، مصر العربية للنشر والطباعة، بيروت، 1949.
- 28 الشناوي عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 1980.
- 29 الشهابي قتيبة، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، وزارة الثقافة، دمشق، 1996.
- 30 الشهابي قتيبة، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق، وزارة الثقافة، دمشق، 1996.

- 31 شهيبي عبد العزيز، الزوايا الصوفية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار القرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 32 شيلشر ليندا، دمشق مابين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تر: الملاح ديناء، الملاح عمرو، مر: مارديني عطاق، ط01، الجمهورية، دمشق، 1998.
- 33 صباغ ليلي، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مطبعة ابن حيان، دمشق 1982.
- 34 صبري محمد، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926.
- 35 صفوح خير، دمشق، دراسة في جغرافية المدن، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، 1969.
- 36 الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، صفحات من التاريخ الإسلامي، ج6، ج2، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، 2001.
- 37 ضياء الدين محمد، المشرق العربي وخلافة الدولة العثمانية، ج01، مطلب ملتزمة مكتبة النهضة، مصر بالقجالة، القاهرة، 1950.
- 38 طقوش محمد سهيل، تاريخ بلاد الشام الحديث والمعاصر، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2014.
- 39 طقوش محمد سهيل تاريخ العثمانيون من القيام الى الانقلاب على الخلافة، ط02 دار نفائس بيروت
- 40 عبدالعزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية السورية (1864_1914)، دار المعارف، مصر، (د.ت.ن).

- 41 العطار عدنان، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، دار وحي القلم، دمشق 2006.
- 42 العظم عبد القادر، الأسرة العظمية، مطبعية الإنشاء، دمشق، 1960.
- 43 العلاف أحمد حلمي، دمشق في مطلع القرن العشرين نعيصة علي جميل، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976.
- 44 عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516_1922)، دار النهضة العربية بيروت، (د.ت.ن).
- 45 عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1515-1918، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2009.
- 46 عوض محمد عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914، دار المعارف، مصر، 1969.
- 47 عيسى عبد الرزاق، التصير الأمريكي في بلاد الشام (1834_1914)، مكتبة مدبولي مصر، 2005.
- 48 الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288هـ -1916م ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.
- 49 غزال زهير، الإقتصاد السياسي لدمشق خلال القرن التاسع عشر، بنى تقليدية في عصر رأس المال، تر: أبيض ملكة، منشورات الهيئة العامة السورية. للكتاب، دمشق، 2008.
- 50 فازان نزار، أحداث ومشاهير عالمية سلاطين بني عثمان بين فتنة الإنكشارية وفتنة الإخوة، الفكر اللبناني، بيروت، 1992.

- 51 فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، دار المدار الإسلامي، لبنان
2003
- 52 فاطمة فؤاد، طبيعة التصوف الطريقة الخلوتية، (د.ب.ن)، 2012.
- 53 القانون الأساسي، مطبعة الآداب، بيروت، 1908.
- 54 كولن صالح، سلاطين الدولة العثمانية، تر: جمال الدين منى، دار النيل، القاهرة
2014.
- 55 كيال منير، محمل الحج الشامي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2006.
- 56 مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر: السباعي بشير، ط01، ج02، دار الفكر
للدراسات النشر والتوزيع، القاهرة، 1993.
- 57 مبروك بهي الدين الدعدر، الكتابات نشأتها وانماطها في تعلم القرآن الكريم، مركز
التفسير للدراسات القرآنية، (د.ت.ن).
- 58 مجهول، حملة إبراهيم باشا على سورية، تح: بسبانو أحمد غسان، دار قتيبة للطباعة
والنشر، دمشق، (د، ت، ن).
- 59 مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا وتطورها في بلاد الشام، تح أحمد
غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق (د.ت.ن).
- 60 المحامي فريد بك محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: حقي إحسان، دار النفائس
بيروت، 1981.
- 61 محمد أحمد درنيقة، الطريقة النقشبندية وأعلامها، دار جروس برس، (د.ب.ن)، 1992.
- 62 مراد مروان محمد، دمشق سجل الإبداع الفكري، دار الشرق، لبنان، 2007.
- 63 مصطفى عبد الرحيم أحمد، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط02، مصر
1986.

- 64 المعلوف عيسى اسكندر، قصر آل عظم في دمشق، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، 2013.
- 65 نبيل ألكسندر، فتادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، تر: إبراهيم أنور محمد، مجلس الإعلام للثقافة، القاهرة، 2002.
- 66 نعيصة يوسف، مجتمع مدينة دمشق، ج02، دار طلاس، دمشق، 1986.
- 67 نوار عبد العزيز سلمان، تاريخ العرق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968.
- 68 الهاشمي عبد المنعم، الخلافة العثمانية، دار حزم للطباعة، (د. ب. ن)، 2004.
- 69 يحيى عبد العزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر، الجزائر، دت
- 70 يوسف جميل نعيصة، مجتمع مدينة دمشق (1772_1840م)، دار طلاس، ج02 دمشق، 1986.
- 71 يوسف جميل نعيصة، مجتمع مدينة دمشق (1772_1840م)، دار الطلاس، ج01 ط01، دمشق، 1986.
- المراجع باللغة الأجنبية**

1 Lora gerd, russia and the melkites of syria attempts at reconverting into orthodoxy in the 1850s and 1860s, scriinium.

2 Zara lababedi, the urban development of damascus astudy of its past, present and future, uclms, eurpeane property developmentand planing dissetation university collège, london.

الرسائل الجامعية:

- 1 أبو خليل غدير، التطور التاريخي لأهم خانات مدينة دمشق وتواجدها خلال الحكم العثماني 1011-1203، 1603-1789 دراسة سياسية، إقتصادية، إجتماعية، ثقافية، رسالة ماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دمشق، 2016.
- 3 بخيت عبد العزيز عبد الكريم، الجزيرة الحرارية لمدينة دمشق، رسالة دكتوراه في الجغرافية الطبيعية، إختصاص مناخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الجغرافيا، جامعة دمشق 2017.
- 4 بن ديلان، الودينالي خضر، الدولة العثمانية والغزو حتى عام 1909، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة، 1990.
- 5 دريد رزق، العساكر العثمانية في ولاية دمشق 1516-1826، رسالة ماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دمشق، 2018/2017.
- 6 رجال خليل أماني، طريق الحج وعمائره الخدمية في سورية في الفترة العثمانية، دراسة تاريخية ومقارنة، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، قسم التاريخ ونظريات العمارة، جامعة دمشق، دمشق، 2015.
- 7 عبد العزيز عبد الكريم البخيت، الجزيرة الحرارية لمدينة دمشق، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الجغرافيا الطبيعية، جامعة دمشق، 2017.
- 8 المصطفى عبد الله أحمد، السياسة الأوروبية وتطورها في بلاد الشام 1840-1876، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، دمشق، 2014.

المجلات والجرائد:

- 1 البحرأوي مجمد؁ حركة الإصلاآ العثماني في عصر محمود الثاني مجلة الإآتهاد؁ العدد 46؁ 45؁ بيروت؁ 2000.
- 2 بلال هدى؁ الصراع العثماني المصري في بلاد الشام والموقف الدولي منه؁ 1830-1841؁ مجلة كلية التربية الإسلامية؁ العدد الرابع؁ مج 10؁ جامعة الموصل؁ 2011.
- 3 بن زروال جمعة؁ النشاط السياسي للجالية الجزائرية في بلاد الشام وموقف الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر؁ مجلة الأستاذ الباحث؁ للدراسات القانونية والسياسية؁ ع 09؁ مج 01؁ 2018.
- 4 جار الله عبد الغني؁ حالة النصارى في سوريا منذ أواخر القرن التاسع عشر؁ مجلة الملوية للدراسات الإثارية والتاريخية؁ مج 03؁ ع 05؁ 2016.
- 5 الجبوري هيثم المحيي؁ أثرالإصلاح العثماني في تطور الحرطة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر؁ مجلة جامعة بابل؁ ع 03؁ العراق؁ 2015.
- 6 رحماني فاطمة الزهراء محطات من تاريخ سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر؁ على ضوء جريدة الرائد التونسي؁ مجلة عصور؁ مج 20؁ ع 03؁ ديسمبر 2021.
- 7 الرسام؁ تعريف فن النممة نشأته وخصائصه؁ مجلة الرسام؁ أغسطس 2021.
- 8 السواس محمد ياسين؁ فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق منشورات معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية والفنون؁ الكويت؁ 1987 م.
- 9 الشرعة إبراهيم قاعور؁ زاهير إيهاب مجمد علي؁ قافلة الحج الشامي وتدابير ولاية الشام ما بين عامي 1151هـ؁ نماذج من وثائق متحف قابي سراي مصدر؁ المجلة الأردنية للتاريخ؁ مج 15؁ ع 01؁ 2021.

- 10 الشمري ثعبان حسب الله علوان، الخط الحجازي سكة حديد دمشق-المدينة المنورة دراسة تاريخية، مجلة ملية التربية الاساسية، مج19، العدد 79.
- 11 الشمري حصة، مظاهر من التنظيمات والتطورات العمرانية لمدينة دمشق، مجلة Aasz ع37، ديسمبر 2017.
- 12 العابدين محمد يسار، إثر الميثولوجيا الدمشقية في نشأة المدينة ونموها ميثودولوجيا في تاريخ قدسية المكان، مجلة كلية العلوم الهندسية، جامعة دمشق، دمشق، 2012.
- 13 عبد الرحيم جمال عبد الرحيم خليفه، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة.
- 14 عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، تر: إبراهيم شمس الدين، دارالكتب العلمية، ج1، لبنان، 1990.
- 15 علي أحمد دارين، دراسة جيوقدمية العمرانية في مدينة دمشق، مجلة جامعة تشرين ع2، سوريا، 2018.
- 16 علي أحمد دارين، دراسة جيوقدمية العمرانية في مدينة دمشق، مجلة جامعة تشرين ع02، سوريا، 2018.
- 17 عمر أحمد رضا، اسهام المرأة في المجال العمراني والثقافي في العصر الأيوبي، مجلة العمارة والفنون، ع01، 2016.
- 18 فاطمة فؤاد، طبيعة التصوف الطريقة الخلوتية، (د.ب.ن)، 2012.
- 19 فوزي أبو غزالة رمزي، تطور التعليم في الدولة العثمانية: السلطان عبد الحميد الثاني أنموذجا، مجلة الزرقاء، ع3، 2019.
- 20 محمد أحمد، الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني (1876_1918)، مجلة جامعة دمشق، ع 01 و02، 2011.

- 21 محمد نفيسة، الصوفية في دمشق بين الطريقة والسياسة، المجلة السورية للعلوم الإنسانية، ع 13_14، ديسمبر 2020.
- 22 محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية ع 117_118، دمشق، كانون الثاني 2013م.
- 23 النصف عبد اللطيف وليد، أبواب دمشق مابقي منها شاهد حي على الحضارات المتعاقبة، مجلة القبس، ع 161885،
- 24 نصيرات فدوى، فتنة دمشق 1860 دراسة تاريخية تحليلية المجلة الأردنية للتاريخ والآثار مج 15، ع 01، 2021.
- 25 نعمة الله نوفل أفندي، الدستور، المطبعة الأدبية، مج 2، بيروت، 1889
- 26 وليد صبحي، إصلاح التعليم وفلسفته في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر قراءة في قوانين التنظيمات من عهد محمود الثاني إلى عهد عبد الحميد الثاني 1824_1876 م مجلة التربية، ع 146، نوفمبر، 2011.
- 27 اليافي عبد الكريم، التعليم في بلاد الشام في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مجلة اتحاد الكتاب العرب، ع 45، أكتوبر 1991.

الموسوعات:

- 1 الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، ج 03.
- 2 الزبيدي مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي 06؛ العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.
- 3 ت. جمال، الجوزية (المدرسة)، الموسوعة العربية للأثار في سورية، م 05، سوريا، (د.ت.ن).

المعاجم:

- 1 الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة بيروت، 1969.
- 2 شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج2، دار صادر، بيروت، (د.ت.ن).
- 3 سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2000.

المواقع الالكترونية:

- 1 <https://www.longdom.org/>
- 2 [.islamic art. Mueseumwnfhpts://](https://www.islamicartmuseum.com/)
- 3 [.islamic art. Mueseumwnfhpts://](https://www.islamicartmuseum.com/)
- 4 almrsal.com
- 5 <http://wahjj.com>
- 6 [http://www .medinasar.com](http://www.medinasar.com)
- 7 <http://www.syriatourism.org>
- 8 <https://al-furqan.com>
- 9 <https://e3arabi.com>
- 10 <https://naseemalsham.com/subjects/view/35951>
- 11 <https://sana.sy/?p=1605968>
- 12 <https://sotor.com>

- 13 <https://www.ibelievein的角度.com>
- 14 <https://www.kuna.net.kw> /
- 15 <https://www-albayan-ae.cdn.ampproject.or>
- 16 www.maaber.org

الفهرس

.....البسمة.....

.....الشكروالعرفان.....

أ.....مقدمة.....

الفصل التمهيدي:دمشق قبيل القرن التاسع عشر

7.....تمهيد.....

8.....المبحث الأول: أصل التسمية.....

10.....المبحث الثاني: الموقع الفلكي والجغرافي وأهميته.....

10.....المطلب الأول: الموقع الفكي.....

10.....المطلب الثاني: الموقع الجغرافي.....

16.....المطلب الثالث: التطور الديمغرافي في دمشق.....

19.....المبحث الثالث: أوضاع دمشق قبيل القرن التاسع عشر.....

19.....المطلب الأول: الأوضاع السياسية والإدارية.....

23.....المطلب الثاني: عسكريا.....

23.....المطلب الثالث: الأوضاع الاقتصادية.....

24.....المطلب الرابع: الأوضاع الإجتماعية.....

الفصل الأول: الواقع السياسي لدمشق خلال القرن التاسع عشر.

28.....تمهيد.....

28.....المبحث الأول: الإصلاحات السياسية لدمشق ما بين 1792-1839.....

28.....المطلب الأول: دمشق في عهد السلطان سليم الثالث1792/1808.....

28.....1: طبعة الحكم.....

31.....2: فترة حكما سره ال العظم.....

37.....	3 فترة حكم باشا الجزائر.....
42.....	المطلب الثاني: دمشق في عهد السلطان محمود الثاني 1808-1839.....
45.....	1: قافلة الحج الشامي.....
48.....	2: الواقعة الخيرية 1826.....
49.....	3: ثورة 1831.....
52.....	4: الحكم المصري في دمشق 1831-1839.....
60.....	المبحث الثاني: دمشق في عهد التنظيماتفي فترة.....
60.....	المطلب الأول: دمشق في فترة السلطان عبد المجيد 1839-1860.....
61.....	1: مرسوم كولخانة 1839.....
67.....	2: مؤتمر لندن 1840.....
69.....	3: خط الهماذوني 1856.....
70.....	4: الفتنة الطائفية 1860.....
74.....	المطلب الثاني: دمشق في فترة ما بين 1861-1876.....
74.....	1: قانون الولايات 1864.....
77.....	المبحث الثالث: دمشق في عهد السلطان عبد الحميد 1876-1908.....
77.....	المطلب الأول: الدستور 1876.....
79.....	المطلب الثاني: مشاريع الدولة العثمانية في ولاية دمشق خلال القرن التاسع عشر.....
79.....	1: مشروع سكة الحديد دمشق -بيروت.....
80.....	2: الخط الحجازي.....
81.....	ملخص الفصل:.....

الفصل الثاني: الواقع الثقافي لدمشق خلال القرن التاسع عشر

91.....	تمهيد.....
92.....	المبحث الأول: المؤسسات التعليمية في دمشق قبل عصر التنظيمات العثمانية.....
92.....	المطلب الأول: الكتاتيب.....
93.....	المطلب الثاني: الزوايا
96.....	المطلب الثالث: المدارس.....
99	المبحث الثاني: التعليم في فترة الإصلاحات العثمانية.....
100	المطلب الأول: التعليم في عهد سلطان محمود الثاني 1808_1839م.....
101.....	المطلب الثاني: التعليم في عهد السلطان عبد المجيد 1839_1861م.....
103	المطلب الثالث: التعليم في عهد السلطان عبد العزيز 1861_1876م
103	المطلب الرابع: التعليم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876_1909م.....
107	المبحث الثالث: التراث الثقافي لدمشق خلال القرن التاسع عشر
107	المطلب الأول: العادات والتقاليد
107.....	1:الأزياء.....
108.....	2:التسليية.....
108.....	2:الأعياد.....
109.....	4:الزواج.....
110.....	أ_الزواج عند المسلمين
110.....	ب_الزواج عند المسيحيين.....
111.....	ج_الزواج عند اليهود.....
111.....	5:مراسم الختان

111.....	المطلب الثاني : الفن والعمارة.....
112.....	1:تطور الزخرفة في دمشق
112.....	2:المعالم الحضارية لمدينة دمشق:.....
113.....	أ_البيت الدمشقي.....
113.....	ب_سور دمشق القديم.....
114.....	ج_الجامع الأموي.....
115.....	د_قلعة دمشق.....
117.....	هـ_قصر أسعد باشا العظم.....
117.....	و_الأسواق.....
119.....	ملخص الفصل:.....
120.....	الخاتمة:.....
124.....	الملاحق.....
142.....	قائمة المصادر والمراجع.....

العنوان: دمشق خلال القرن التاسع عشر_دراسة سياسية، ثقافية.

الملخص بالعربية:

تناولت هذه الدراسة دمشق خلال القرن التاسع عشر من الناحيتين السياسية والثقافية تم التركيز فيها على أهم المحطات التاريخية خلال هذه الفترة.

خلال العهد العثماني دمشق تطورا سياسيا وثقافيا ملحوظا، حيث كانت دمشق مقرا لولاية عثمانية إدارية مهمة، كما كانت تعد مركزاً ثقافياً وحضارياً مهما في العالم لكونها جمعت بين ثقافات متعددة وتأثيرات حضارية مختلفة من كل العالم، جعلت منها مدينة ذات تراث عريق وذاخر يجمع بين التراث المحلي الأصلي والتأثيرات المختلفة للحضارات المتعاقبة عليها ويظهر ذلك جليا في المعالم الحضارية للمدينة.

الكلمات المفتاحية: دمشق، القرن 19، الجانب السياسي، الجانب الثقافي.

Titel:Damascus during the nineteenth century_a political and cultural study.

Abstract:

This study dealt Damascus during the 19th century included a political and cultural study, with a focus on the most important historical period during this century.

Under Ottoman rule, the city experienced notable political and cultural development. Damascus served as an important administrative center, being the seat of an Ottoman province. It also held a significant position as a cultural and intellectual hub in the world, as it brought together diverse cultures and various civilizational influences from around the globe. This made it a city with a rich and abundant heritage, blending local indigenous traditions with the diverse influences of successive civilizations This is evident in the city's remarkable cultural landmarks.

Keywords: Damascus, 19th century, the political aspect, the cultural aspect.